مجلة الأردن العسكرية

تصدرها
المديرية العامة
للتربية المعنوية
والعلاقات العامة

في
القيادة العامة
للقوات المسلحة
الأردنية

ارواح شهداء الثورة الكبرى ... تنظر الينا ... وتسأل عنا ...
عن وحدة الصف ... وحدة الهدف ... وتسأل عن المصير

جلالة المغفور له ـ المنقذ الاعظم ـ عندما قدم الى الاردن
لمبايعته اميراً للمؤمنين .... وخليفة للمسلمين

١ ـ جلالة المغفور له ـ الحسين بن علي
٢ ـ سيادة المغفور له ـ الشريف ناصر بن علي ـ شقيق المغفور له الحسين بن علي ـ وجد اللواء الشريف ناصر بن جميل
٣ ـ جلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين
٤ ـ سيادة الشريف حسين بن ناصر
٥ ـ سيادة المغفور له الشريف شاكر بن زيد
٦ ـ المرحوم الفريق غالب باشا الشعلان
٧ ـ اللواء محمد علي العجلوني
٨ ـ المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني

العدد : الخامس والاربعون ـ السنة : الثانية عشرة ـ الشهر كانون الاول ١٩٦٥

كلمة العدد!

.... وأمسكت القلم لاكتب كلمة العدد الخامس والاربعين ، من مجلة الاردن العسكرية ، تلك النبتة اليانعة ، التي غرسناها بيد الايمان ، ونحميها بسلاح العقل ونغذيها بنتاج العلم والمعرفة ، فاضطربت في نفسي خواطر شتى متصلة ! وانبعثت في قلبي أكثر من عاطفة ، ولمعت في خاطري اكثر من فكرة ، وكأني لا أحس لنفسي ، وإنما أحس للقراء ، ولا أشعر لنفسي ، وإنما أشعر للقراء ، ولا أفكر لنفسي ، وإنما افكر للقراء ، وبين هذا وذاك ، كأنني لا أعيش لنفسي ، وإنما أعيش للقراء . . .

وبدأت في خضم تزاحم هذه الافكار ، والخواطر ، والعواطف ، أتلمس الطريق للوصول بما أكتب ، الى مس عواطف النفس ، علني أبعث فيها الرحمة والحنان ، وأملؤها طمأنينة ودعة ، وأثير فيها الغضب والسخط ، حينما يتوجب اثارة ذاك ، واملؤها نفوراً واشمئزازاً ، حينما يصبح ذلك النفور والاشمئزاز ضرورياً ، ومن هذا كله ، أردت ان أخلق الصورة الفنية الخالصة التي تستطيع أن تثير اعجابك ، ايها القارىء ، لنفسها ، لا لأي شيء آخر . . .

والناس بطبيعتهم يلتمسون الراحة حيث يجدونها ، وكما يستطيعون ان يجدوها ، وهم لذلك يلتمسون العزاء حيث يجدونه ، وكما يستطيعون ان يجدوه فوقفت عند هذا ، استشعر مرارة الشقاء الذي تقحمنا فيه بعض النفوس التي أبت أن تكون كبارا ، فاضطرت أن ترضى بالصغر والضآلة ، وتطمع بالهين من الأمر ، فترضى بالعمل الذي لا يغني حين تعمل ، وترضى بالراحة المجدبة العقيمة ، حين تستريح .

اولئك النفر الذين يجهلون من حولهم من الناس ، ويجهلون ما حولهم من البؤس والضنك والضيق والموت ، فيضعون اصابعهم في آذانهم حتى لا

يسمعوا، ويجعلون على ابصارهم غشاوة حتى لا يروا ، ويجعلون على قلوبهم أكنة واقفالا ، حتى لا يصل اليها ما يثير فيها شيئاً ، من تضامن أو رحمة أو إشفاق . . . . .

هؤلاء هم المدعون الذين يقبلون على منافعهم ولذاتهم وآمالهم كما يتصورونها ، لا يضرهم ان يلذوا ، والناس من حولهم يألمون ، ولا يسوؤهم أن ينعموا ، والناس من حولهم يتجرعون الشقاء والبؤس والعذاب غصصاً ، ولا يفرقون بين تلك الموسيقى البشعة المنكرة ، التي تأتي من شكاة الشاكين وبكاء الباكين ، وانين المرضى وحشرجة المحتضرين ، وبين هذه الموسيقى الاخرى التي تصل اليهم من عزف المنتفعين ، ونفخ الطامعين ، ورقص البارعين في اللعب على عواطف الناس والاتجار في آمالهم ...

هذا النفر من الناس ، الذين لا يجدون بأساً حين يقبلون على كؤوسهم المترعة المصفاة ، ان يكون مزاجها من هذه الدموع الغزار – ودموع الناس قد ترى وقد تحس – فيضيق بها الذين يرونها والذين يحسونها ، ولكن دموع لاوطان لا يراها ولا يحسها إلا الذين أتيح لهم شيء من رقة القلوب وصفاء النفوس ونقاء الضمائر ، وهؤلاء هم اصحاب الرسالة الانسانية ، وحملة الفكرة القومية وحماة الاهداف الوطنية .

ان هذا المنطق الساذج الحلو ، وهذه العظات والعبر ، التي نحاول أن انستخلصها منه ، وهذه الالوان من الصور التي نسوقها اليك ، ايها القارئ الكريم ، إنما نريدها ان تتحدث الى عقلك الانساني ، والى قلبك الانساني احاديث تلائم ما اكتنفهما من الاطوار المختلفة ، والظروف المتباينة ، فتحبب قراءة ما نكتبه اليك ، فتلمس في ذلك اللذة ، والمتعة ، والجمال ، والفن ، وارضاء الذوق ، ومع هذا كله ، الغذاء المتصل المستمر ، الى العقل والى القلب جميعاً . . . .

« يا ايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » . (صدق الله العظيم)

الزعيم الركن عمر المدني
المدير العام للتعبئة المعنوية والعلاقات العامة

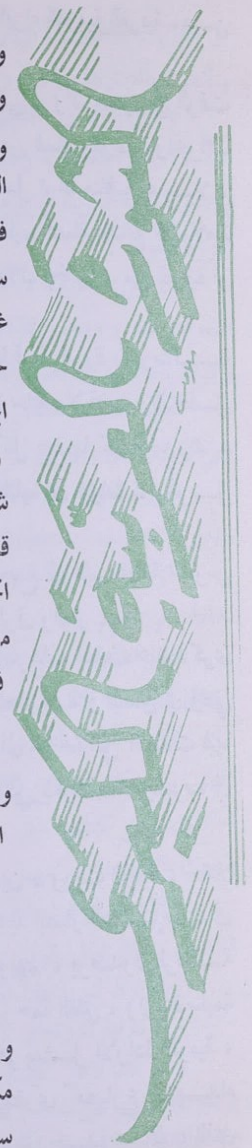

وها نحن اليوم ، في غمرة القلق وجمرة الاضطراب ، والعرب في الديار القريبة والبعيدة معاً ، يخبطون في الحركات والانفعالات العاطفية ، وقد ضربت صفهم ريح الشقاق ، ومزقت وحدتهم مطامع واهواء ، بعضها صنع الغريب ، وبعضها معصية القريب ، تقف الامة حشداً كانه الحشر ، واجمة سائلة مستجيرة ، فلا وجوه البطولة المستعارة ، كانت لتجسد المثل الاعلى ، ولا سراب الامل الغامض ، والوعد الكاذب ، تمكن أن ينقع غلتها ، ويطفئ جذوة نفسها المعذبة ، وأوار ضميرها المريب ، حتى هداها الله عز وجل الى الأصول ، ومكنها من اعماق الجذور واغوارها ، وأعادها الى صواب الهدف ، واساس الغاية والرسالة ، فاذا هي بعد خمسين من عمر الزمان ، تتلفت من شرفة الذكريات ، الى قبور السلف الصالح ، وتستعيد في خيالها قدسية هذه القبور ، وخلود من ضمتهم بين جوانحها ، ذلك الخيال العظيم ، الذى لم ينل ذرة من حقائقه الدهر ، وما محا سطراً من أسطره الحدثان ، تستعيد صورة ذلك الفتح ، وآية ذلك النهج فتح الثورة العربية الكبرى ، ونهجها العظيم .

نصف قرن مضى ، ان هو اقصر الايام في نشأة الامم ونهوضها ، وكتابة تاريخها ، فما زلنا في مقدمة الكفاح ، وما زال امامنا الجزء الكبير من العمل والجهاد ، ولسان حالنا قول الشاعر :

اذا فل عزمي عن مدى خوفُ بعده
فابعد شيء ممكن لم يجدِ عزماً

ان الثورة الخالدة الكبرى ، التي قامت على يد الحسين ، وابناء الحسين ، وانطلقت عام (الف وتسعمائة وستة عشر) من بطحاء مكة ، وجبال المدينة الشم ، لم تكن فقط ثورة على مستعمر ، اجرى سنابك خيله فوق ارض العرب ، اكثر من عشرة قرون ، وانما

بقلم
الزعيم الركن عمر المدني

كانت بالاضافة الى ذلك ، وقبل ذلك ، تحقيقاً للذات العربية ، وابراء للقومية العربية ، من شوائب العثمانية ، في كون العثمانية ، مبدأ واسلوباً .

لقد كان على الانسان العربي ، ان يتحرر من حكم الاجنبي ، وان يتحرر في الوقت نفسه ، مما فشا على يد ذلك الاجنبي ، في قلب الامة العربية ، من فساد وفوضى وانحراف وكان على الانسان العربي ، ان يقف امام العالم الجديد ، وهو يحمل تراثاً مناقبياً اصيلا ، وطريقة في التفكير والعمل ، ونهجاً آخر في الادارة والحكم ، عظيم الصلة بالمنابع الاسلامية الاولى ، قوي الارتباط بعبقرية النفس العربية ، التي لم تتمكن اغلال الحديد ، من شرقية او غربية ، ان تشدها الى الدهماء ، خلال اربعة عشر قرناً .

تلك رسالة كبرى قامت عليها الثورة العربية الكبرى ، وما قيمة الثورة بلا رسالة وما قيمة الثورة بلا هدف ، وبلا قضية وبلا خلق ، فالثورة بلا رسالة ولا قضية ولا خلق هي زلزلة فوضوية ، تدمر ولا تبني ، وتقطع ولا تزرع ، وتأكل بعضها كالنار ، وتفسد الوجدان القومي ، وتغرق في متاهات الوسائل ، حتى تتحول وسائلها الى غايات ، والويل للأمة التي تصبح الوسيلة في نظرها غاية .

ان عقبى مثل هذه الزلازل الفوضوية ، بحر من الدماء يتجمع في قلب الامة الدارس ويطمس معالم حضارتها ، ويذهب نخوة عرقها ، ويختم عليها بالرق والعار .

لذلك كله ، تتحرك مواكب الامة العربية اليوم ، باسرها ، لتقف عند ذكرى الثورة العربية الكبرى ، وقفة العظمةوالتأمل ، تأخذ العبرة من تجاربها ، وتتلمس في وحي الرسالة وهديها ، طريق الغد . وهي تتجه بانظارها الى عمان ، الى الواحة التي انتظمت فيها المسيرة القومية العظيمة ، بعد الحرب العالمية الاولى ، والى القلعة التي ذهبت مثلا يضرب في البطولة والصبر والايمان .

ففي هذا العرين يربض الاسد العربي الابي ، ويقف الحسين ، وريث الثورة ، حاملا علمها بيد ، ورسالتها والايمان بامته باليد الاخرى ، وقد علقت به ابصار العرب ، في مختلف ديارهم ،وأحاطت به من كل جهة،بصائر الاحرار وقلوبهم ، يرصدون الرسالة في عينيه ، ويسألون ابن رسول الله ، نجدة في الخلف ، ورأيا فيزحمة القلق ، وارادة سليمة حرة تثير الحفائظ والهمم الحائرة الخائرة . وكأني بالحسين ، وهو يمثل الارادة القومية ، في وقفته الباسلة ، ينظر في سكون الجبابرة الى جيل البطولة ، ويتقرّى مصارع الشهداء الهاشميين البواسل ، من الحسين بن علي ، الى الفيصلين والهما ، الى جده عبدالله ، الذى حمل الرسالة ، وحفظ الامانة ، ورعي الحرمة ، وآمن بالله وبأمته ، فسلّم ذلك كله

الى طلال ، فالحسين ، فيأرض هذا الوطن الاردني العزيز ،أمانة يترسمون فيحفظها خطاه، ويأتمون بأنجازها بهدي روحه وعقله .

وكأني بالحسين العظيم ، وهو يستعرض الرؤيا ، ويرقب ارواح الرعيل الشريف ،من صفوة آبائه واجداده ، وهم راكعون مع جدهم،الرسول الكريم ،في رياض الجنة ، كانيبه يخاطب الامة العربية في يوم ثورتها الاصيلة ، الثورة العربية الكبرى ، بمضمون رسالة هذه الثورة فيقول :

« ان الثورة العربية ، أنتصار للانسان العربي على نفسه ، وانتصار له على الدخلاء في صفوف امته ، وتحرر للذات العربية ، واكتمال في تلك النفس ، للثقة والايمان بالله ، وعودة باخلاقها الى معدن الاصالة .

الثورة العربية انتصار للقومية العربية،على الدخلاء الغاصبين ، وفتح في قلوب العرب ، حتى تتم الوحدة الكبرى .

الثورة العربية قوة بلا طغيان ، ومنعة بلا تجبر ، وترفع بلاكبرياء ، وخدمة بلا منّة ودين بلا تعصب ، وجهاد في سبيل الله ، وصبر وتضحية وفداء .

الثورة العربية الكبرى قاعدة للحرية ، ومدرسة للديمقراطية ترقى في أصولها الى عهد الخلفاء الراشدين .

الثورة العربية سعي الى وعي الحقيقة ، وبلوغها في ميادين العلم والادب والفكر ، وعناق للحضارة الانسانية ، وانفتاح على العالم ، وتفاعل خير كريم ، مع الامم المتمدنة .

الثورة العربية الكبرى ، انطلقت منذ خمسين عاماً ، وما زالت مستمرة في سيرها المظفر ، عبر كل اصلاح وكل بناء . انها الفضيلة في نفوس الاحرار ، والعدالة في جوهر الحكم ، وهي كتاب الحق ، وخيط الثورة ، الذى يصل قلوب العرب بهذه الارض ، ويحث ركابها الى مراميها .

هكذا اتمثل قول الحسين العظيم، وخطاب قلبه الكبير ، للامة العربية باسرها في هذه الذكرى ، والله تعالى يقول :

« يقولون لئن دخلنا المدينة،ليخرجن الاعزمنها الاذل،ولله العزةولرسوله وللمؤمنين ».

ويقول تبارك وتعالى :

« ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ، ذلك بانهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب،ولا مخمصة في سبيل الله ، ولا يطاؤن موطئاً يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلا ، الا كتب لهم به عمل صالح ،ان الله لايضيع اجر المحسنين » — صدق الله العظيم .

صدى الثورة

هذه القصيدة ترجع الى نصف قرن
الى خمسين عاماً خلت ...
هي تحية الى الثورة العربية الكبرى
من سجن القلعة بدمشق

شعر
محمد
الشريقي

اتلك وجوه الروض ابهت ونورت ... كساها الندى والفجر ابهج سربال
ام الافق الشرقي جاد سحابه ... بنبت خصيب بعد جدب واهمال
ففي كل روض نفحة عنبرية ... وفي كل افق ، شمس مجد واقبال
واطلقت الثكلى ، على طول اسرها ... وانقذت الاوطان من جور مغتال
ولبّى بنوها الصيد صوت اميمة ... اقامت على خسف رهينة اغلال
فحلّوا قيودا كم اثارت شجونها ... وبروا بها اذا جددوا عهدها البالي
مشت ولها البند الذي طار ذكره ... قديماً وفي ذكراه تاريخ ابطال
« فنورتها من اذرعات ، واهلها ... بيثرب ادنى دارها نظر عالي »
وقد رفعت اعلامها خير فتية ... مسيرتهم فتح واحياء اطلال
اهاب بهم صوت النبي محمد ... لانقاذ حق العرب والوطن الغالي
فهبوا كآساد على كل ضامر ... يجودون للأوطان بالروح والمال
دعوا ، فالتقى تاريخنا في لوائهم ... ووحدتنا ضاءت كنار لقفال
وفي البيت (فاروق) الحطيم وزمزم ... اطل على الآتي بوثبة رئبال

هموا ارجعوا للعرب حقاً مضيعا ... بابيض فصال ، واسمر عسال
فدانت لهم ارواحنا ورماحنا ... وما صدّنا عن حبهم لوم عذال
لعمرك ان عاث الدخيل بارضنا ... فسادا ، انرضى جور مبغضنا القالي
ونحن بنو الجلّى موازين حكمة ... واعلام عدل في غدو وآصال
طليعتنا في البأس سيّد هاشم ... إمام ، له في الشرق وارف اظلال
وانجاله الشم العرانين في الوغى ... حماة الحمى ، اكرم بخيرة انجال
نمتهم عرانين السيادة والعلى ... لخير نبي قام في العصر الخالي
دعا قومه للحق والنور والهدى ... وانقذهم من عيش بؤس واذلال
واخرج منهم امة عربية ... لها فوق صرح المجد ارفع تمثال
لك الله من يوم عميم هناؤه ... أفاض لنا النعماء من بعد اقلال
والبسنا ثوب النعيم مدبجاً ... فعادت به الاوطان مغبوطة الحال
شهدنا به فجراً جديدا وطالعاً ... سعيدا واعراس الربى غبّ تهطال
سلام على قومي وهم خير امة ... بهم ثبت الاسلام من بعد زلزال
وصين بهم عهد المسيح بن مريم ... ولم يعبأوا يوماً بتفريق جهال
ارى ملكاً يرنو لنا متبسماً ... اذاك سنى جبريل ام نور ميكال
اطافت به روح الشهيد واقبلت ... تبارك مسمانا بنظرة اجلال
فيا شهداء المجد من آل يعرب ... ومن ضربوا بالظلم من غير امهال
وما راعهم غدر اللئام واقبلوا ... على غمرات الموت في زي مختال
ولم يهتفوا الا بنصر بلادهم ... غداة الردى من غير ذعر واجفال
مشوا بنشيد الحق يلقون ربهم ... فكانوا على الأعواد شعلة آمال
أطلوا علينا ، وانظروا كيف اثمرت ... دماء الضحايا ، واشهدوا نشر اجيال

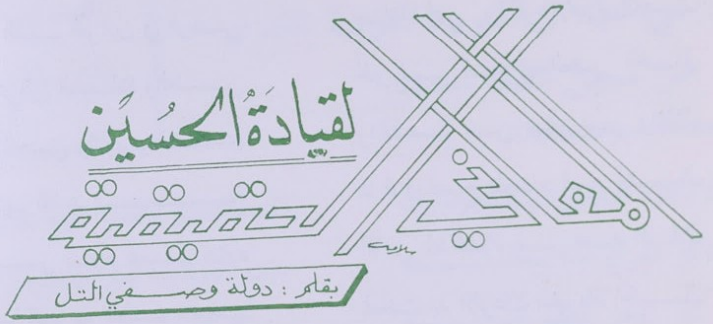

ان التكريم والبهجة والتقدير الذى يحيط به شعبنا مناسبة عيد ميلاد القائد ، ليست الا وسيلة يعبر بها هذا الشعب النبيل عن احترامه العميق لقائده الذى - بحنكته ، وشجاعته ، وولائه المطلق لهذه الامة - استطاع ان يشق بساعديه الطريق . ولكنني أجد ، وأنا واحد من الذين لهم شرف العمل عن كثب مع الحسين ، انني ملزم بتمثل هذا اليوم بما يتجاوز حدود المناسبة الشخصية والرسمية التى تشدنا الى الحسين الانسان ، والحسين الملك ، الى المعاني الحقيقية لقيادة الحسين ، وتجربته الفريدة في العمل الداخلى والعمل القومى على السواء.

لقد تميزت قيادة الحسين في داخل الاردن ، بتلك الصلة الحميمة بين القائد والشعب ، وبروح الديمقراطية الاصيلة ، وبالمحبة والتسامح ، التي جعلت من ابناء هذا الوطن جميعاً ، أسرة واحدة متماسكة ، في ظروف عصيبة كانت تعصف خلالها بالوطن العربي بأسره مختلف التيارات والعقائد . ولقد احال هذا المنهج في الحكم بلدنا الى هذه الواحة المستقرة النامية ، التي يدأب

فيها أبناؤها ويكدّون ، غايتهم العمل الحقيقى المحسوس ، تلهمهم روح قائد ثائر أصيل ، مؤمن بأن الثورية الحقيقية بعيدة عن الصخب والضجيج ، كارهة للعنف والقسر ، روحها المحبة والصدق والاندفاع في العمل المجدى المخلص . هذه الروح هى التي انعكست في بلدنا منجزات محسوسة ملموسة لمس اليد ، ممتدة الى مختلف مجالات النهضة للمجتمع .

ولقد هيأ مفهوم الاسرة الاردنية هذا ، الذى ظل الحسين يشدد عليه في كل وقت وتحت كل ظرف ، شروط النجاح لتجربتنا الاردنية في ربط خطوات التنمية والتطوير بتحقيق العدالة الاجتماعية والغاء امكانيات الصراع الطبقى في المجتمع الاردني . فاستطاع الاردن في عهد الحسين ان يحقق نهضة اقتصادية وثقافية واجتماعية ضخمة ، يواكبها اتساع في قاعدة الخدمات التي تقدمها الدولة ، وتزايد في شروط العدالة الاجتماعية والحرية السياسية لكل المواطنين .

لقد قيّض الله للاردن في شباب الحسين معيناً للتفكير العصرى في كافة مجالات الحكم والخدمة العامة وبناء المجتمع الجديد ، فاستطاع الاردن - بقيادته الشابة - أن ينمو على أساس التخطيط العلمي للتنمية ، والتشريع التقدمي الذى يستوعب احتياجات المجتمع المتزايدة ، والتحرر من كل العوائق لانطلاق المجتمع باتجاه آماله ، وآمال شبابه ، وباتجاه ركب الحضارة المسرع .

وبقي لنا - فوق ذلك - في مليكنا الهاشمى رمز لذلك التراث الكبير ، الذى تحدر الينا من ثورة محمد عليه الصلاة والسلام ، فحمى شخصيتنا من الاندثار ، وعواطفنا من الشطط ، واندفاعنا من الانزلاق . فتجمع لنا في حسيننا الهاشمي الشباب العصري المندفع المجدد مع التراث الروحي والاستمرار التاريخى ، الذى لا معنى للتطور بدونه ، ولا قيمة للنهضة الا في اطاره .

ولئن كانت روح الحسين وقيادته قد تركت طابعها العميق في كل مجال من مجالات حياتنا في هذا البلد ، فانها قد تركت أثرها هذا نفسه في محيطنا القومي الاوسع .

فبنفس الروح المبادهة الطموحة ، تقدمت قيادة الحسين الشابة الى المجمـــوع العربي الشقيق ، بموقف مؤمن بالقضية العربية ، متفهم لواقعها . فمع الاصرار على عدم المساومة، والتمسك بالتراث وبالرسالة العربية ، ومع الايمـــان العميق بمبدأ العمل القومي المدروس ، والايجابي، برز الاخلاص الحقيقي للقضية، الى حد الاستعداد للمغامرة من أجلها .

واذا كان لمحاضر مؤتمرات القمة أن تنتقل الى مواقع التاريخ ، فان هذه المحـــاضر تعبر تعبيراً مباشراً عن كل ما تشتمل عليه معاني القيادة الشابة الطموحة والحكيمة .

لسنـــا في معـــرض الحديث عن مميزات حسيننا القائـــد ،

فلقد أتاحت لنا هذه المناسبة الخيرة أن نقول ما تعكسه افراحنا الداخلية،

ذلك أن المستقبل سيتيح لنا أن نؤرخ لقائدشاب تنتظر امته الكثير على يديه .

والى لقاء في أعياد مقبلة ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وقد ارتجل سماحة الشيخ عبد الله غوشه ، قاضي القضاة كلمة شاملة جامعة ، استعرض فيها مو اقف الحسين الخالدة والمشرفة في ميادين الجهاد والعلم الاقتصاد .

وقال سماحته :

الحسين دائب السهر على مصالح الامة ، ورعاية شؤونها ، وتعزيز جيشها ، ليكون في مقدمة الجيوش : فهو يرعى الجيش ، ويتفقد الكتائـــب ليزودهـــا بالنصح والارشاد وليرفع معنوياتها ، وليبث فيها روح النشاط ، ..

واشار سماحته في كلمته الى موقف جلالة الملك المعظم تجاه قضية فلسطين ، وتوحيد ضفتي الاردن ، كنواة لوحدة عربية كبرى شاملة .

كما اشار الى نشره الحرية والعدالة بين المواطنين ، والى ما يتحلى به جلالته من صفات العفو عند المقدرة ، باصدار العفو العـــام عن المعتقلين والمساجين .

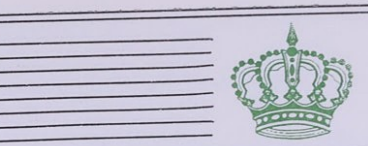

عيد الملاح السعيد

بقلم معالي : محمد الشريقي

حملت اللواء بعزم الفتي ... وقدت البلاد لخير العمل
وحولك شعب زكي الفؤاد ... اذا قال – يوم التنادي – فعل
تنادى قديما بصوت الفدا ... فطاف السهوب وطال الجبل
تنادى بصوت بشد العتاق ... وضرب الرقاق وطعن الأسل
وفيأ دنيا باعلامه ... وأشعل ضوء الهدى فاشتعل
هو اليعربي الرفيع العماد ... ومن خير شرع وزرع حمل
تخطى البحار عظيم المنى ... فشاد وأعلى وكان المثل
نشأت حر يصاً على عهده ... لتبني السدود وتعلي القلل
حملت النضال بأوزانه ... الى أن بلغت مكان الثقل
واعطيت قومك ما أمّلوا ... بوحدة صف لدفع العجل
فكنت الهلال الذى قد نما ... وأصبح بدراً علا وأكتمل
تحديت جنة مستعمر ... وأطلقت جيشك من معتقل
وأورثت ثورة ذي مرة ... مشى للطغاة بعزم الرسل
وأطلق للفتح أشباله ... فأبلوا بلاء الجدود الاول

وأوقد شعلة حق علا ... وآمن بالشعب حتى انتقل
وما ارتاع للدهر أن عقه ... اذ الشمس شمس الضحى والطفل
فلسطين كوكب آماله ... وليست لعمري بنجم أفل
على الافق تخلع من جرحها ... وقد شع فجراً دماء المقل
يهمهم بالثأر ارعادها ... وقد لاح منه بريق الأمل
تحيي المآذن اجراسها ... وفي ما ابانا جمال المثل
حماة السلام بها طوحوا ... وذئب الفريسة راغ الحمل
سنمشي اليها بتاريخنا ... الى البحر نفتح فيه السبل
الى البحر وهو المجال الذي ... يغيث البلاد ويحيي الطلل
الى البحر وهو المغاني التي ... عشقنا وعشنا سنين العسل
الى البحر تلعب أمواجه ... على الرمل تنسج أبهى حلل
نشاهد منها شراع الزمان ... يعود الينا بحمل النقل
من الشط حتى المحيط انتخى ... بنو العرب نخوة ماض حفل
خفافاً ثقالا وفي وحدة ... تلاقوا فكانوا أعز الدول
فلسطين كبر اسراؤها ... فما قد تمزق منها اتصل
سنمشي اليها بحد الظباة ... وعزم الكماة وصوت الأزل
ونملي عليهم وفي صدرنا ... حفيظة شعب أبي بطل
نحطم هيكل عدوانهم ... وشركاً تجسد فيه (هبل)
وما الظلم الا الى قبره ... وللغاصبين عويل الثكل
وللمحتمين بأنيابهم ... رؤوس تطأطىء بعد الفشل
ترد الثغور لأصحابها ... ويجلو الدخيل كما قد دخل
(حسين) ومن لي بيوم الوغى ... وعيدك عيدان في المحتفل
تطالع حيفا ويافا بما ... أفاءت عليها (حقوق الملل)
تهلل للنصر آفاقها ... ويخرج منها الأعز الأذل
برابط جيشك في شطها ... وبندك أمن وعدل وظل

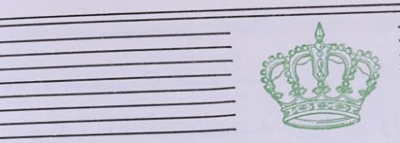

الحسين يدخل التاريخ

بقلم : عارف العارف

مولاي صاحب الجلالة !

انه لشرف عظيم . . ذلك هو الشرف الذي منحنيه جيشنا الباسل ان اقول كلمتي في هذه المناسبة الكريمة . . في هذا المهرجان القومي ، الذي نقيمه احتفاء بعيد ميلادك يا مولاي وانه لعيد قومي يحق لنا ان نحتفي به ونفخر .

وانه ليسرني ان اقول : ان اول ما تبادر الى ذهني عندما اختاروني لأكون احد خطباء هذا الحفل — ان ارجع الى مذكراتي ، لاستعيد من خلال سطورها ذكريات السنين الماضية . . تلك المذكرات التي ما انقطعت عن تدوينها يوماً واحداً ، منذ خمس وخمسين سنة . . فوجدت في طياتها — فيما وجدت — عدداً غير قليل من الصفحات المشرقة . . صفحات تاريخ الاسرة الهاشمية . . وما لهذه الاسرة الكريمة من فضل وتضحيات حين قامت بالثورة العربية الكبرى . . .

فالحسين بن علي . . ملك العرب . . وموقد نار الثورة الاولى التي حمل لواءها ابناؤه الغر الميامين وعملوا لخير العرب . . وماتوا شهداء قضايا العرب ، وعلى رأسها قضيتهم الاولى . . قضية فلسطين الحبيبة . . طيب الله ثراهم اجمعين : وجلالة الحسين المعظم الذي حمل لواء هذه الثورة من بعدهم . . ذلك الملك الجريء . . الشاب . . الذي ضحى ولا يزال

يضحي بالشيء الكثير من وقته وصحته وراحته في سبيل امته وبلاده . . وفي سبيل القضية نفسها التي ضحى اجداده من أجلها . .

فوجدت يا مولاي ، أنني سجلت في مذكراتي تلك ، أخبار جدك الشهيد المغفور له الحسين بن علي . . بالتفصيل . . من اليوم الذي أطلق فيه رصاصته الاولى وأعلن الثورة ضد الاتراك العثمانيين ، الى ان نفاه الانكليز الى قبرص . . حيث مرض ، ومات ، وانضم الى زمرة الشهداء الخالدين . انه هو الذي فتح الطريق أمام العرب ، ليسيروا في الدرب الصحيح : درب الحرية والكرامة والوحدة . وهو الذي خلصهم من الحكم التركي ، ذلك الحكم الذي استمر في بلدهم اربعة قرون (١٥١٧ — ١٩١٧) والذي تميز بالفقر والجهل والظلم والفساد . والاهم من هذا وذاك ، محاولة الاتراك في الحقبة الاخيرة من حكمهم (تتريك) العناصر المختلفة التي كانت تعيش تحت سيطرتهم . وكنا — نحن العرب — في طليعة الشعوب التي فكر الاتراك في تتريكها . . ومحو عروبتها . . لولاه . .

ادرك الحسين هذا الخطر . . وراح يعمل لدرئه هو وأنجاله الغر الميامين . . فثاروا على الترك . . وراح الحسين يستنفر العرب . . فلبوا نداءه . . وجاؤوه من كل حدب وصوب وراحوا يحاربون الاعداء بقلوب ملؤها الايمان .

وشعر الترك بالخطر . . فراحوا ينصبون المشانق . وشنقوا في بيروت ودمشق وعاليه ، وفي القدس ، أربعة وثلاثين من رجالنا الاحرار ، كلهم من عيون أمتنا العربية . . ومن شبابها المخلصين . . قل ان يجود الدهر بمثلهم . . ذكرتهم كلهم في يومياتي . . كل شهيد وبلده والمكان والتاريخ الذي شنق فيه ، وما أعرف عن ذلك الشهيد . .

وفيما كانت المشانق منصوبة في بيروت ودمشق والقدس وعاليه ، وجثث الشهداء الابرار تتأرجح عليها ، كان جيش جدك العظيم . . جيش كل العرب . . يزحف صوب الشمال . فانتقم للشهداء وللامة كلها . . واضطر الاتراك لترك هذه البلاد ، بعد ان عاشوا فيها اربعة قرون .

كانت ثورة الحسين بن علي تلك ، في ملتي واعتقادي ، أم الثورات العربية كلها ، التي حدثت بعد ذلك التاريخ . . والتي لا تزال نيرانها تشب في يومنا هذا . .

ولكن الانكليز لم يحفظوا ، ويا للاسف فضله . اذ ماكادت الحرب تضع أوزارها

حتى راحوا يقلبون له ظهر المجن . وقد نفوه الى قبرص . ومن منا لا يعرف، ا
ما كان لينفى ، لولا أنه رفض التوقيع على معاهدة عرضوها عليه . . . وكان فيها شرط .
أن يعترف باستثناء (فلسطين) من وعودهم له ، وجعلها وطنا قومياً لليهود ، . . فرفضه
بإباء . . وآثر النفى والموت ، على أن يخون قومه وبلاده ، ويخون ضميره ويفرط
بفلسطين . . بلد الاسراء والمعراج . . فمات شهيداً . .

هذا ما وجدته مكتوباً في يومياتى . . عن جدك العظيم – الحسين بن علي –

وانت يامولاى ، (الحسين بن طلال) ، فقد دونت عنك الشيء الكثير ، مما يرفع
الرأس في يومياتي . منها ، أنك ، عندما توليت العرش رحت تترسم خطى ابائك وأجدادك .
وترسم الخطط لاتمام رسالة جدك العظيم . فكان أول عمل قمت به ، أنك انهيت خدمات
رئيس الاركان في الجيش . . الفريق جون باغوت غلوب في أذار ١٩٥٦ . . . وكان
هذا يقود الجيش كما يشاء ، لا كما تشاء البلاد ومصالحها القومية . ورحت بعد ئذ تعمل على
تعريب الجيش . . وفي ١٣ اذار ١٩٥٧ انهيت المعاهدة الاردنية – البريطانية . وما كاد
فجر اليوم السابع من شهر تموز ١٩٥٧ يطل حتى كان آخر جندى من جنود الجيش البريطاني
قد غادر البلاد ، فراحت هذه ، ورحنا معها نتنفس الصعداء .

هذا العمل وحده – دع عنك حركة الانشاء والتعمير التي شملت البلاد كلها ،
والدستور الذي رسمته لقومك عندما قلت لهم : فلنبن هذا البلد ولنخدم هذه الامة – بلى
وربك ، هذا العمل وحده ، اي تعريب الجيش وتقويته واعداده ليوم الثأر . . يكفي لتخليد
اسمك ، يا مولاي ، وأدخاله في سجل الخالدين .

ان الخلاص من غطرسة المستعمرين ، نعمة من نعم الله الكبرى ، لا يعرف قيمتها الا
من عاش مثلنا ، ايام الانتداب ، في عمان . . ورأى بعينه كيف كان الاغيار يتصرفون
بمقدراتنا كيف يشاءون . وفي صفحات كثيرة من يومياتي امثلة لا حد لها ولا حصر لتلك
التصرفات . . اذا ما رجع المرء اليها ، ادرك البون الشاسع بين تلك الايام ويومنا هذا .
والفضل في ذلك راجع الى صاحب الفضل . . وهو انت يا مولاي .

ولئن نسينا ، فلن ننسى موقفك المشرف ، يا مولاي ، من (قضية فلسطين) . قضية
الوطن السليب . . هذه القضية التي اعتبرتها قضية العرب الاولى . . وقد نذرت نفسك

وروحك من اجلها وكثيرا ما قلت ذلك ، وكررت قولك في خطاب عرشك الاخير ٢٨ تشرين
الاول ١٩٦٥ .

ومن منا لا يذكر ما قلته ، في حفل افتتاح المؤتمر الفلسطيني الذي انعقد على جبل
الزيتون في ٢٨ ايار ٩٦٤ والذي انبثقت عنه منظمة التحرير . . يوم صحت صيحتك المشهورة
وسط ذلك المؤتمر :

« انني واحد منكم ،

وجندي في جيشكم . . .

جيش فلسطين التي نذرت حياتي لها . .

ان من يقول هذا القول الصادر من الاعماق . .

ويقف هذا الموقف المشرف من قومه وبلاده . . لجدير بان يخلد اسمه في سجل
الخالدين . .

ومن هنا يجيء اجلالنا لجلالته واعتزازنا بعيد ميلاده . .

وانا لنضرع الى الله ان يمد في عمره .

ويبقيه ذخرا لبلادنا وللعرب اجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكريات وعبر في عيد ميلاد الحسين

بقلم الدكتور : ناصر الدين الأسد

حين نتحدث الى الحسين او عنه، يمتزج في حديثنا نبض القلب وومض العقل معا ، ليلتقيا في التعبير عن الولاء والوفاء . فعيد الحسين عيدنا ، ونحن حين نجتمع هنا لنهنئه انما نهنيء انفسنا معه . وهذه كلمات بسيطة هادئة نابعة من القلب والعقل ، واعوذ بالله لنفسي ولجميع من يتحدث عن الحسين ، وأربأ بمليكنا العظيم وبمقامه ، أن نزخرف القول زخرفة وأن نهنئه بحديث هو من نسج الخيال ، وان نثني عليه بما ليس فيه . ونسأله تعالى الا يجعلنا ممن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم. وما حديثي الآن الا طرف مما شهدت ومما علمت. وفي مثل هذا الموقف يحلو استرجاع الذكريات واستخلاص العبر والعظات ، لنجمع منها اضاميم زهر من شمائل الحسين ، نأخذها منه لنقدمها اليه في عيد ميلاده ، هدية من اسرته ، لتكون تثبيتاً له على الحق ، وتذكيراً لنا بان قيمة الملك الرجل، انما هي في حقيقتها قيمة ذاتية تكمن في النفس وتتمثل في السلوك ، وليست طلاء ظاهريا يصطنع التمويه والتزييف .

ما زلت اذكر ، وساظل اذكر ما حييت ، مجلساً من مجالس الحسين تجلت لي فيه حقيقة نفسه ناصعة صافية ، يوم ان شرفت بلقائه ، على مائدته الكريمة ، مع نفر من ابناء شعبه . ووجّه الملك سؤالا عن أمر كان حينئذ يشغل البال ، واراد من الحاضرين ان يدلوا بآرائهم فيه . وتسابق بعضهم الى الكلام ، وشددوا النكير ، وبالغوا في الوعيد، ورأوا اول الدواء – لا آخره – الكي، وان الخير كل الخير في البتر والاستئصال . وتلفت الملك حوله، ورأى بعض من حضر لا يشترك في الحديث ، فوجه السؤال الى واحد منهم بعينه . فتأنى المسؤول في الجواب اكبارا للموقف ، واستعظاما ان يخون الامانة ، وتردد ان يقول بغير رأي الآخرين، مخافة الزلل . فرفع بصره الى الملك، فرآه ينظر اليه نظرة التشجيع . فابى عليه اخلاصه ان يقول لملكه، وقد ائتمنه ، غير ما يجيش في ضميره . فقال قولا نَدّ عن قول الآخرين . وبدأوا يردون عليه، ولكن الحسين لم يمهلهم ، واعجلهم بصوته الخفيض ولفظه الوقور ، قال : ولكننا جربنا ، فماذا كانت النتيجة ؟ ألا ترون اننا ضحينا في طريقنا ببعض ابناء اسرتنا ممّن كنّا نستطيع ان نهديهم من ضلال، ونرشدهم من غوايه، فنبقي عليهم ونستنقذ نفوسهم وعقولهم – لهم – ولامتهم .

وران على الجمع السكون، وعادوا الى اعماق نفوسهم يستبطنونها ، ويتدبرون هذه الحكمة الغالية التي لا تصدر الا عن الحسين . وتابعت بعد ذلك توجيهات الملك لمواقف بلاده في الداخل والخارج، وكلّما تابعت توجيها منها، ربطته بذلك الموقف الهاشمي النبيل، ووجدتها كلها حلقات متصلة في سلسلة محكمة تصدر عن رأي اصيل يبني بناء يريد له الثبات والدوام، وليست خواطر متفرقة متناثرة تتأثر بالاحداث والمناسبات العابرة .

وذكرى ثانية : يوم جاءني احد اخواني يحدثني حديثا ظاهره الجزع ، وباطنه الامن والاكبار . قال : كان الموكب الرسمي قد هيء ، ووزعت الحراسة ، واعد كل شيء اعدادا دقيقا ، لان الظروف تقتضي ذلك. ومن واجب المسؤولين ان يتخذوا للأمر اهبته ، ولكن الجميع فوجئوا بان سيدنا قاد سيارته بنفسه، وسلك فيها طريقاً آخر غير طريق الموكب المعد ، وما هي الا لحظات حتى كان في وسط الناس ، فما ان رأوا السيارة ولمحوا الملك فيها يقودها حتى انطلقت مشاعرهم من عقالها، واحاطوا بالسيارة، وتهافتوا عليها، وكادوا يحملونها على اعناقهم حبا واكراما . فكان اعظم لقاء صادق بين ملك محب وشعب وفي . وسكت وسكت، وتبادلنا النظرات، وفهم كل منا عن صاحبه ما يريد ان يقول . وصرت اذكر

هذا الحديث كلما شهدت لقاء بين الحسين وابناء اسرته الاردنية، وهم يتسابقون الى مصافحته وعناقه وتقبيله، لا يضيق بشيء من ذلك، بل يبادلهم مشاعرهم في اصالة سمحة وحب صادق، وهو واحد منهم، ينظرون اليه بينهم لا يحجبهم عنه حجاب مصطنع، ولا يحول بينهم وبينه حائل، تحرسه قلوبهم الوفية ويحميه حبهم له النابع من حبه لهم.

وذكرى ثالثة، كثيرا ما تكررت، حين كان الموقف على الحدود يتأزم وتخوض قواتنا الباسلة معركة الشرف في رد عدوان غادر. واذ بالحسين بين جيشه في وسط المعركة المستعرة، غير آبه بالخطر ولا منصت لرجاء من حوله ان يحرص على سلامته، من اجل امته بل لا تكاد تنزل باحد من افراد اسرته الاردنية نازلة، الا كان هو أول المغيثين: يشترك بيديه في الانقاذ، ويشيع في النفوس الطمأنينة، ويبث في العزائم القوة، ويسكب على القلوب العزاء والمؤاساة.

لقد نذر الحسين نفسه لأسرته الاردنية ولامته العربية: قضاياها قضاياه، وأفراحها أفراحه، وآلامها آلامه. يخوض معركتها بقوة المؤمن، وعزم الواثق بالنصر. لا يدخر وسيلة من وسائل هذه المعركة الا بذل جهده لتحقيقها. وحسبي أن اذكر مثلا واحدا على ذلك في انشائه للجامعة الاردنية ورعايته المتواصلة لها. فليست الجامعة في رأى الحسين مجرد معهد عال للتعليم، وانما هي من أهم وسائل المعركة التي يخوضها ومعه شعبه: معركة تحرير الانسان العربي في الاردن، تحرير نفسه وعقله، وتحطيم قيوده التي عاقت تقدمه، واطلاق جميع قواه ليحقق ذاته ويستأنف رسالته، مسلحا بأخطر سلاح للنصر وهو العلم.

ولا يمكن لملك ان يكون كالحسين الا اذا كان مؤمنا بشعبه، يسعده ان يرى من حوله رجالا اعزة اقوياء يعينونه على تحقيق اهدافه.

هنيئاً للحسين العيد،

ومد الله في عمره،

وحفظه من كل سوء،

وجعل ايامه كلها اعيادا متصلة،

مولد الحسين

مولد قيادة ... ومولد مجد

بقلم المشير: حابس المجالي

مولاي صاحب الجلالة :ـ

طلعت علينا بوجه اغر فاذهبت عنا الاسى والضجر

مع تباشير الفجر من مثل هذا اليوم الاغر، قبل ثلاثين عاما، كانت ابتسامة قدر وفرحة بشرى، ومولد مليك، حيث انشق الزمن عن اغلى درة، واكرم لؤلؤة، تلألأت بها جباه الصيد من آل هاشم، وازدهى بها جبين الدهر، تلكم درة حسيننا المفدى ـ زين الشباب وفخر الملوك.

ياصاحب الجلالة :

لقد كان مولدكم لامتنا، ميلاد قيادة، وكان ميلاد مجد، وكان ميلاد بطولات، يزينهن جميعا سنىً من قبس النبوة، ومضاء كعزم السيوف.

لقد كان ميلادكم ميلاد قيادة ترتاد للعرب قاطبة مرابع العزة والمجد في دروب من الجهاد الصادق، الذي لم يكن اوله ذلك الدم الزكي من اقدام محمد بن عبد الله (صلى الله

عليه وسلم) عند جنات الطائف ومشارف البيت العتيق ، ولم يكن آخره ثورة الحسين بن علي الكبرى ، ومسيرته على رأس احرار العرب ، من بطحاء مكة الى آفاق دنيا العرب ، ولا استشهاده في سبيل فلسطين واماني العرب ، ولا مضجعه في رحـــاب المسجد الاقصى ، الا ليكون الصوت المدوي في آذان العروبة والاسلام ، وليكون صوت السماء على مفرق دروب الكفاح .

« وان هذا صراطي مستقيما فتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وليكون كذلك الراية الخفاقة في ساح المجد ، لا تسمو اليها الا قلوب مؤمنـــة ، فيها من مؤنة عزم وما من حطين مضاء .

بلى ياصاحب الجلالة ، لقد ورثتم ذلكم العلم الخفاق — علم الثورة العربية الكبرى — وانتهجتم صراطه السوي المتين ، صراط الغر الميامين من آل هاشم ، وسرتم بايمان الواثق بربه ، وبين اعينكم اهداف امتكم ، في الوحدة والحرية والحياة الافضل ، وسرتم تسند عزماتكم مروءات النسب الرفيع وبطولات الماضي المجيد .

ويهيب بكم طموح لا يتسع بما دون الثرى ، وكأن ما بين الماضي والحاضر يتقاصر ، وكأني بصوت المليك الشهيد جدكم المغفور له ، عبد الله بن الحسين ، يرنّ في خاطري واضحا في اعماق اعماقي — لا يرث الحسين الا الحسين — قالها وهو يستجمع صور الحسين الطفل في مهده ومواقع صباه في انطلاقه وسكونه ودلائل الذكاء والفطنة على محياه ، قالها وهو يحدق في الغيب بفراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله ، وبحكمة الشيخ الذي انضجته ميادين النضال وحنكته مصاولة الرجال .

ياصاحب الجلالة :

لقد كان مولدكم ميلاد مجد ، فما زلتم تشيدون وتبنون في كل مجال ، لقد حررتم هذا الجيش ، وما زلتم دائبين على مضاعفة اعداده وعدده ، ساهرين على تدريبه وتوجيهه حتى اصبح بفضل كريم اهتمامكم به الدرع الحصين لهذا البلد الذي تخشى سطوة بأسه اسرائيل .

لقد اصبح جيشكم المثل في الشجاعة والبأس والخلق الكريم والطاعة والفداء ، وأمسى بفضل رعايتكم له في مصاف الجيوش الكبيرة التي يحسب لها الحساب في ميزان القوى .

ولم يكتف جيش الحسين بحماية الحدود من اغدر عدو بل سار على هدى قائده المفدى

في مجالات البناء والاعمار ، يفتح الطرق ، ويشيد السدود ، وينشر العلم والمعرفة ، حتى لقد اوصلها مضارب البدو على اطراف الصحراء .

ياصاحب الجلالة :

لقد كان ميلادكم ميلاد امجاد وبطولات ،

وفاتحة دنيا من الديموقراطية ،

لم يزدكم الملك الا تواضعا ،

ولم تزدكم المسؤوليات الجسام الا مضيا في خدمة هذه الامة ، وانطلاقا في الاعمار ،

لقد اصبح الاردن في دنيا العرب كواحة فيحاء في صحراء لاهبـــة نغشاها غيوم داكنة من شبهات واكاذيب ودعوات واضاليل ، الى ان منّ الله على هذا الحمى الكريم ، حمى الاردن والاقصى والصخرة والمهـــد والقيامة ، بسليل الهدى مليكنا الشاب ، الذي جعل من بلده حرما آمنا ، فانطلق الجميع في بناء الحياة الافضل ، من ماض في بناء ، ومن ذاهب في اعمار ، ومن ناشط في طالب علم ، ولا مجال للكسول بين ظهرانينا ، ولا مقـــام لعاطل بين صفوفنا .

رعى الله المليك ،

وجعل كل ايامه اعيادا ،

وكل جهاده نصرا ،

وكل غدواته بركة واعمارا .

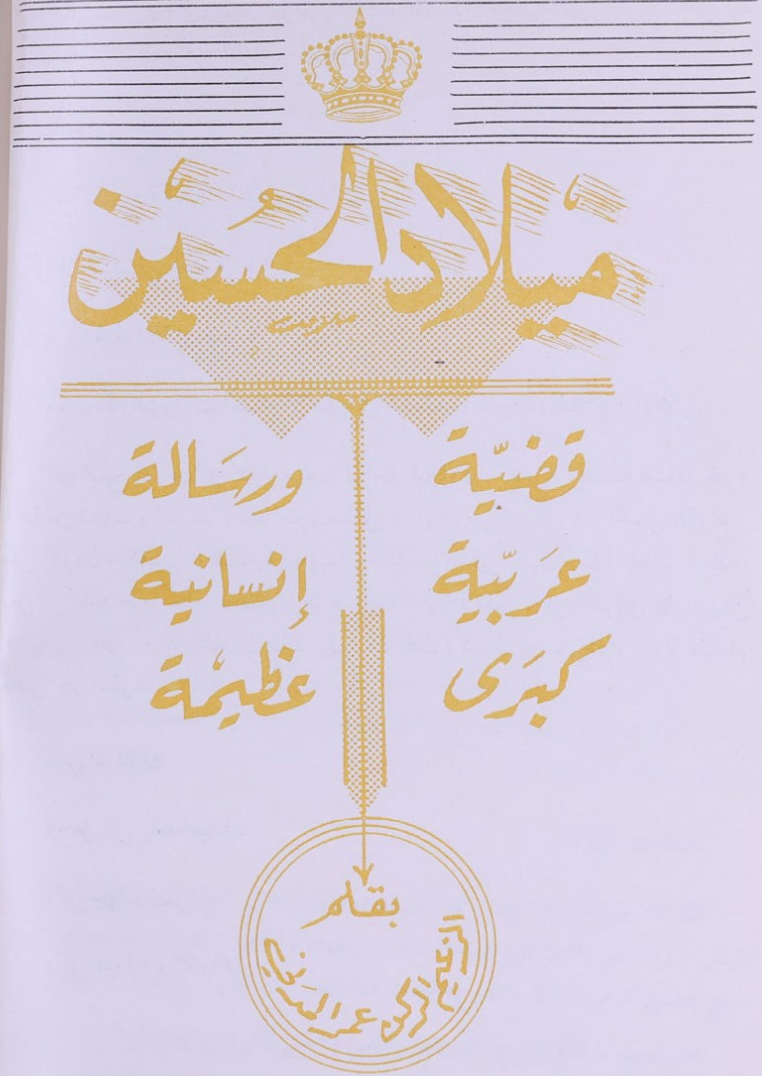

مولاى صاحب الجلالة .

ليست ولادة عظيم من العظماء صدفة تاريخية عادية ، يجري بها على ذلك الانسان ما

يجري على سائر الخلائق من تكوين ، ويكتب له ما يكتب لهم . . ولكنها صنع ارادة الله المستجيبة لارادة شعب من الشعوب او امة من الامم ، فيكون في وجدان الامة نداء ، وقلق تتخبط في القلق والفراغ ، وتضطرب قرونا ، ويعتريها جمود الموت قبل ان يستجيب الله – عز وجل – الى ندائها ، ويوقت نجدتها وانقاذها ، فيمدها بالقائد الحكيم والرجل العظيم ، ولهذا نرى ان العظماء قلة ضئيلة في تاريخ الامم جميعها .

اما العظيم فتعرفه لامة بالحدس وتخبره بالتجارب .

وهي تعود بالذاكرة الى حالها يوم ، ولد فتقارن في طرفة عين ، بين ما كان من امرها ومابلغته على يده ، ثم تقيس نفسها بنفسه ، وشجاعتها بشجاعته ، وعبقريتها بعبقريته حتى اذا اكتشفت انه اقرب منها الى المثل الاعلى ، ووجدت انه يسبقها الى المخاطر ، وينطق بلسانها ويحيا في سريرتها ، ولا يقيم على ضيمها ، ويكافح دونها ، ويرعاها ويسعدها ويغذيها ... اسلست له القياد ، وأفاءت اليه ، وهتفت بصوت واحد : هذا هو العظيم .

من هنا فان الامة كانت اعرف بالحسين ، واهدى الى ناره ، وان كان الرأي قد اشكل على الرجال فما اهتدوا ، وتحير علماء السياسة والتاريخ ، فما قر لعلمهم قرار ، في تفسير المعجزة التي استطاع الحسين ان يحققها على هذه الارض وفي هذا القوم ، معجزة البقاء ، معجزة الاستقرار والتقدم والعمران ، والثقافة والدفاع ، والقوة والبسالة ، والحضور الاول في سدة الشرق العربي والاسلامي جميعا ، فحسبهم في دلالة الامة على الحسين تفسيرا ، وحسبهم في سعيها اليه وايمانها به تعبيرا ، وحسبه من ذلك كله قول الله تعالى « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » . – صدق الله العظيم –

اما ارادة الامة النابعة من ارادة الله ، فقد حتمت ان تمثل هذه الذكرى ، وهي ميلاد الحسين العظيم ، قضية عربية كبرى ، ورسالة انسانية عظيمة .

ولا بد لنا من الوقوف على وجه القضية وحقيقة الرسالة ، ان نحن عرضنا صور الحياة في هذا البلد ، وفي سائر ارجاء الوطن العربي ، وان نحن عدنا الى ايام عابرة ، وحسبنا دقائق المصير بحساب الضمير .

فقد اطلق الحسين الاول طيب الله ثراه شرارة الثورة العربية الكبرى ، واناب الى الله

في تحقيق وثبه الامة العربية وانتفاضتها ، وكانت الثورة العربية الكبرى بهدى الحسين وابناء الحسين ، ثورة قومية لا ثورة سياسية ، وثورة جهاد ما يرح الدم الطليل ينبىء كل يوم بما قامت عليه من تضحية ، وما تجشمته من اعباء الفداء ، لا ثورة كلام في الاروقة الزائفة ، والمخابىء المكتومة ، ثورة حققت انتصار الانسان العربي على نفسه وانتصاره على الدخلاء ، حتى اتى العالم الحديث ، ووقف تحت شمس الحضارة الجديدة ، يحمل تراثا لم يكن اوله انتصار خالد في اليرموك ، وسعد في القادسية . ولا كان آخره انتصار طارق بن زياد وهو يركز حوافر خيل الفتوح على سفوح الاطلس ، ولا عقبة على شاطىء المحيط ، وانما يحمل في الوقت نفسه ، ديناً سويا وفرقانا عربيا ، وحجة سامقة المعاني في الاخلاق والمثل الانسانية ، ومشعلا من مشاعل الحرية التي عجزت اخلاط البربر والطغيان عن اخماد ناره وتخفيف اواره .

هكذا تجسدت الارادة العربية في ثورة الحسين الاول وصحبه ، وتدافع الهاجس الوثاب من بطحاء مكة وروابي المدينة ، ومن اطراف الحجاز الى آخر الدنيا ، حيث لمعت بارقة العمامة العربية ، وانتصبت مئذنة تكبر باسم الله — الله اكبر — فتفرّع كبد السماء .

الهوى الدنيوى والهدف العلوى في النفس ليس يلتقيان
واذا راضت العقيدة قلبا فمن الصعب ان يكون انساني

ولقد سعت جيوش الاجنبي وعيونهم ، وعملت ادوات المستعمرين — آلية وبشرية — على خنق الارادة العربية من حيث تظاهرت بالولاء لها وتحقيق غاياتها ، فكانت غمامة مكفهرة عبرت في سماء العرب ما يناهز اربعين عاما ، وما انفكت سجونها ان سقطت وذهبت مع الريح .

فدوت صيحة النبي فثابوا فاذا هم في قبضة العدوان
وثب الهول وثبة شلت البيض وشظت عواري المران

واذا بالامة وقد اجهدها السرى ، واضناها الضياع ، تتلمس اطرافها فلا تهتدي ، وتستكشف مرابعها فلا تكلأ ، وتنظر الى وهدة الامس وهضبة الغد ، وهي معلقة بينهما ، فتقع في المرارة واليأس والجحود .

وفي هذا الخضم العجاج ، المتلاطم بامواج التفرقة والدس والخيانة والاثرة والانحراف

وعقد النقص ومركبات العظمة وتهويل النفوذ وهرولة النفوس الى الضلال ، في هذه الرحمة التي اقامت دنيا العرب على اضطراب وما اقعدتها ، في هذا الزمن الغاشم الذى حمل القلوب والاذهان الى معصية الرفض والنكران على مركبة التردد والحيرة والالم .

في اطار تلك العاصفة المريضة كلها ، كان الاردن وحده ، يعتصم بالصبر ويحفظ الثرى ويقيم التراث ، وقد ظل قلبه العربي الاصيل ، يتململ ويخفق في جنوح السفينة واختلاف الريح ، حتى وجد القائد الذي اراده ان يكون طليعة الامة العربية الى النصر ، وادخل في روعه وروع بنيه ان الاقامة الطيبة على جبال عمان لن تصرفه عن آفاق العروبة ، وان الطريق طويل ، والجنة لمن صبر .

واذا بالامة العربية قاطبة في الاردن ، وفي كل دار للعرب مكرمة المزار تنظر الى الحسين العظيم نظرتها الى ابن رسول الله ، القائد المنجد ، والرائد الذي آلى على نفسه ان يتم الرسالة ، ويكمل الطريق الذي عبّده آباؤه واجداده بدم الشهداء .

«« من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »» . — صدق الله العظيم —

هكذا نفهم ذكرى الميلاد ، ميلاد الحسين العظيم ، انه القدوة والرسالة ، وبمقدار ما يؤمن الحسين بنا بمقدار مانؤمن انه كتب علينا ان نفتح او نموت .
ياصاحب الجلالة ...

لقد كان ميلادك هديا لهذه الامة ، ونورا يشق سجف الظلام ، فنظرنا الى الوجود من وهدة العدم ، وسننظر الى الوجود من ساحة الخلود ، لانك انت بيننا ،

وما دمت هكذا فابعاد الارض قاصرة عن ان تقول لرماحنا قصرت ،

فكلما اتسع قلبك ضاقت بآمالنا الدنيا

وكلما طال عمرك قصرت ابعاد الارض حتى ترتمي عند قدميك .

في ظلال الدين الحنيف

تحية

شهر رمضان

كلمة

المديرية العامة للتعبئة العنوية والعلاقات العامة

بدت تباشير شهر الصوم المبارك ، تأخذ طريقها الى الانفس الطاهرة المطهرة ، لتلتقي جميعها ، في محراب العبادة ، بين يدي خالقها العظيم ، تؤدي واجب الصوم ، وواجب التركيز ، وواجب الايمان .

والصيام فريضة الهية ، جاء بها الدين الحنيف ، كما هي رياضة روحية ، وراحة نفسية وتعبد وتأمل ، ففيها الحكمة كل الحكمة ، والعبرة كل العبرة ، والموعظة كل الموعظة ، والله ، سبحانه وتعالى ، يقول :

« شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان »

ففي هذا الشهر المبارك ، نزل الدستور ، ليقيم للانسانية جمعاء ، حياة حرة كريمة تعتمد في كنهها على التقوى والايمان ، وتقوم رسالتها على المحبة والوفاء والسلام . ففي هذا الشهر المبارك وضع الحجر الاول في بناء المجد والحضارة ، والفتح الخير المبين .

وما احوجنا ان نقف امام المعنى السامي الذي عم العالم اجمع ، بنزول الدستور الخالد

فتأمل فيما استنه من شرائع ، وما جاء به من نظم ، وما اقامه من بنيـــان شامخ ، لانا اذ نحمل رسالة الجيل الصاعد ، فيجب علينا ان نقيم هذه الرسالة ، على الحق والايمان والوفاء ذلك الحق والايمان والوفاء — الذي كان الاساس الذى قام عليه مجد امتنا ووجود اوطاننا ، وحياتنا الحرة الكريمة التي نسعى كلنا للحفاظ عليها ، وحمايتها ، والوفاء لها .

ونحن ، حملة السلاح من ابناء هذه الامة ، احوج الناس الى تعميق جذور الايمان في قلوبنا ، وتطهير انفسنا ، وفتح عقولنا وافكارنا ، لتتفاعل بعضها مع بعض ، في تحقيق العمل الخير البناء ، فالسلاح الذي في ايدينا ، لا قيمة له ، ان لم يكن حامله ، يعمل بقلب مؤمن ، وبعقل نيّر واع .

فلنطلق هذا السلاح بقوة العقيدة ، ونور العقل ، ليصل الى الهدف بالطريقة المثلى .. هكذا كان آباؤنا من قبل ، عندما جاؤوا من اطراف الحجاز ، والتفوا حـــول الرسول الكريم باعث هذا الوجود ، ومحرر بقائه ، فكان اول ما تعلموه منه — صلى الله عليه وسلم — الايمان — واول ما رسّخه في نفوسهم — العقيدة — واول ما فتح اذهانهم له — حب العلم والمعرفة — فساروا خلف الرسول الكريم ، يحملون رسالة الدين الالهي بقلوبهم وعقـــولهم وما كانت اجسامهم الا وسيلة ، تصل بها تلك العقول والقلوب الى اهدافها السامية ، فقد عرفوا الموت حق المعرفة — فعرفوا فيه الخلود — وعرفوا الحياة حق المعرفة ، فعرفوا فيها الحرية والكرامة . فلهذا ، فقد عاشوا احرارا كراما ، وماتوا شهداء مؤمنين خالدين ، فقتل من قتل منهم — وهم مستبشرون بهذا القتل — فقد وعـــدهم ربهم — جل وعلا — الدار الاخرى ، وما اعظمه من وعد ، وما اقدس كنهه ، فالله يقول :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون »

واستمر الجندي الاول — محمد — صلى الله عليه وسلم ، في القتال من اجل العقيدة ولتعميم الرسالة السماوية ، وقاتل اصحابه معه بصـــلابة وتصميم وايمان ، وجـــاء بعده خلفاؤه الراشدون ، وهم يحملون سيف العدل والايمان بيد ، والايمان بالهدف والقضية باليد الاخرى ، فقامت عظمة العرب ، وفرض وجود العرب نفسه على العالم اجمع ، لا بقوة السلاح ، كما يدعي البعض ، وانما بقوة العقيدة والايمان ، فهيا الحل الوحيـــد لقضايانا ،

وهي المدخل الوحيد لفرض وجودنا على العالم ، فما كان السلاح ليجترح معجزة الفتح ، لو لم تحركه اياد قوتها الايمان ، وعقول قوامها المعرفة .

تحدثت اليك في هذا العدد عن الثورة العربية الكبرى ، التي قامت بنفس الاسلوب الذي قامت له دعوة محمد — الرسول الكريم ، فلم تكن غايتها ملكا فانيا ، ولا عرضا زائلا ، ولا وجوداً مؤقتا ، وانما قامت في سبيل الله ، ومن اجل اعلاء كلمته ، وانقاذ امة محمد رسوله الكريم .

فأنت ،

بحكم وجودك وعقيدتك ، وايمانك ،

انما انت خليفة لجنود محمد الاوائل ،

فاعمل كما عملوا ، وجاهد كما جاهدوا ، واصبر كما صبروا ، ورابط كما رابطوا ، وآمن كما آمنوا ، واتق الله كما اتقوه ، وحافظ على الحرمات والعهود والمواثيق ،

واعلم ان الله تعالى يعلم خائنة الاعين ، وما تخفي الصدور .

فهنيئا لك ايمانك ،

ووفاؤك ،

وصبرك ،

ومرابطتك .

المدير العام للتعبئة المعنوية والعلاقات العامة

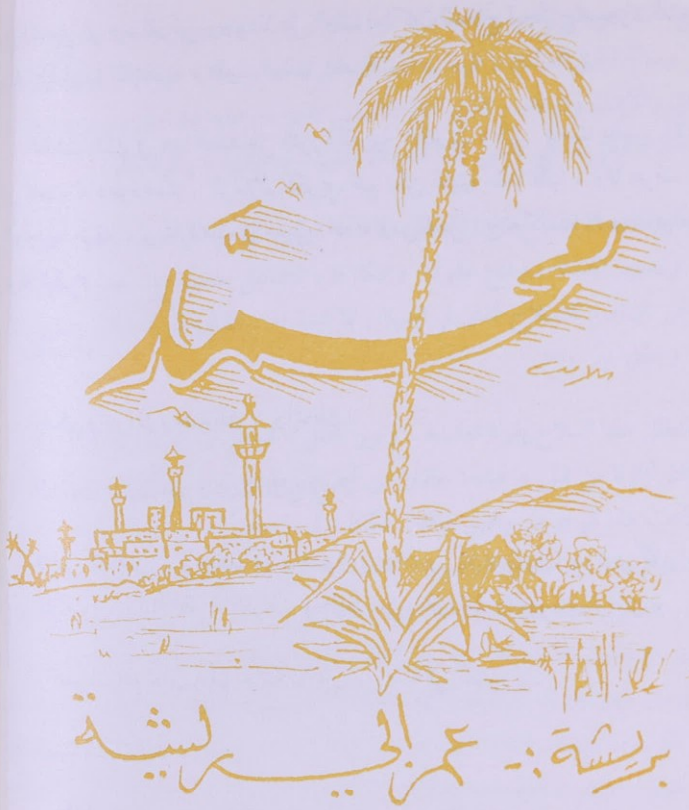

اي نجوى مخضلة النعماء ... رددتها حناجر الصحراء
سمعتها قريش فانتفضت ... غضبى وضجت مشبوبة الأهواء
ومشت في حمى الضلال الى ... الكعبة مشي الطريدة البلهاء
وارتمت خشعة على اللات ... والعزى وهزت ركنيهما بالدعاء
وبدت تنحر القرابين نحراً ... في هوى كل دمية صماء
وانثنت تضرب الرمال اختيالاً ... بخطى جاهلية عمياء

عربدي يا قريش وانغمسي ما ... شئت في حمأة المنى النكراء
لن تزيلي ما خطه الله للأرض ... وما صاغه لها من هناء
شاء ان ينبت النبوة في القفر ... ويلقي بالوحي من سيناء
فسلي الربع ما لغربة عبد الله ... تطوى جراحها في العزاء
ما لأقيال هاشم يخلع البشر ... عليها مطارف الخيلاء

* * *

انظريها حول اليتيم فراشاً ... هزجاً حول دافق اللألاء
وابو طالب على مذبح الأصنام ... يزجي له ضحايا الفداء
هو ذا احمد فيا منكب الغبراء ... زاحم منكب الجوزاء

* * *

بسم الطفل للحياة وفي جنبيه ... سر الوديعة العصماء
هب من مهده ودب غريب ... الدار في ظل خيمة دكناء
تتبارى حليمة خلفه تعدو ... وفي ثغرها افترار رضاء
عرفت فيه طلعة اليمن والخير ... اذا اجدبت ربى البيداء
وتجلى لها الفراق فأغضت ... في ذهول واجهشت بالبكاء
عاد للربع ، اين آمنة ما ... والحب والشوق في مجال اللقاء
ارتوت منه مقلة طالما شقت ... عليه ستائر الظلماء
يا اعتداد الأيتام باليتم كفكف ... بعاه كل دمعة خرساء

* * *

احمد شب يا قريش فتيهي ... في الغوايات واسرحي في الشقاء
وانفضي الكف من فتى ما تردى ... برداء الأجداد والآباء
انت سميته الأمين وضمخت ... بذكراه ندوة الشعراء
فدعى عمه فما كان يغريه ... بما في يديك من اغراء
جاءه متعب الخطى شارد الآمال ... ما بين خيبة ورجاء
قال هون عنك الاسى يا ابن عبد ... الله واحقن لنا كريم الدماء

لا تسفه دنيا قريش تبوئك ... من الملك ذروة العلياء
فبكى احمد وما كان من يبكي ... ولكنها دموع الابا
فلوى جيده وسار وئيداً ... ثابت العزم مثقل الاعباء
واتى طوده الموشح بالنور ... وأغفى في ظل غار حراء
ويجفنيه من جلال امانيه ... طيوف علوية الاسراء
واذا هاتف يصيح به اقرأ ... فيدوي الوجود بالأصداء
واذا في خشوعه ذلك الأمي ... يتلو رسالة الايحاء
واذا الأرض والسماء شفاهٌ ... تتغنى بسيد الأنبياء

* * *

جمعت شملها قريش وسلّت ... للأذى كل صعدة سمراء
وارادت ان تنقذ البغي من ... احمد في جنح ليلة ليلاء
فأناه الصدّيق منخلع اللب ... مثارا بأفدح الأنباء
فتلقاه احمد باسم الثغر ... عليما بما انطوى في الخفاء
امر الوحيُ ان يحث خطاه ... في الدجى للمدينة الزهراء
واقاما في الغار والملأ العلوي ... يرنو اليهما بالرعاء
وقفت دونه قريش حيارى ... وتنزت جريحة الكبرياء
وانثنت والرياح تجأر والرمل ... نثيرٌ في الأوجه الربداء

* * *

هللي يا ربى المدينه واهمي ... بسخي الأظلال والأندية
واقذفيها الله اكبر حتى ... ينتشي كل كوكب وضاء
واجمعي الأوفياء ان رسول الله ... آت لصحبه الأوفياء
واطل النبي فيضاً من الرحمة ... يروي الظماء تلو الظماء
والصلاة الطهور عالية الاصداء ... جوّابة بكل فضاء
هزت الجاهلي فاهتز انساناً ... نجيّ الرسالة العذراء
وقريش في يقظة الحقد وهج ... من عناد ولفحة من عداء

كلما مر مؤمن بحماها ... قذفته بطعنة نجلاء
خسة تترك المروءة غضبى ... وترد الحلوم صرعى حياء
ضاق ذرعاً بها النبي فنادى ... فإذا الصافنات رجع النداء
واذا الصيد فوقها يحملون الشهب ... اسياف نخوة شمساء
وتخطاهم النبي فساروا ... في ركاب الهدى الى الهيجاء
لم يرقه سفك الدماء ولكن ... عجز الحلم في انتزاع الداء
دَرَنُ النفس ليس يمحى اذا لم ... تجر فيه مباضع الحكماء
واذا الحلم لم تجادفيه بناء ... فأكرم بالسيف من بنّاء

* * *

وقف الحق وقفة عند بدر ... شحذت في الغيوب سيف القضاء
ووراء التلال ركبُ ابي سفيان ... يحمي سرية الفيحاء
وقريش في جيشها اللجب تسعى ... بين وهج القنا وزهو الحداء
بلغت منحنى القليب ولفت ... مَن عليه ببسمة استهزاء
وارادت اكفاءها فتلقاها ... عليٌ ذؤابة الأكفاء
جز بالسيف عنق شيبة وارتد ... الى صحبه خضيب الرداء
فطغى الهول والتقى النِّد بالنِّد ... وماجا في لجة هوجاء
وعيون النبي شاخصة ترقص ... في هديها طيوف الرجاء
ودنت منه عصبة الأثم والموت ... على راحها ذبيح عياء
فرماها بحفنة من رمال ... ورنا ثائر المنى للعلاء
ودعا « شاهت الوجوه » فيا ارض ... اقشعري على اختلاج الدعاء

* * *

قضي الأمر يا قريش فسيري ... للحمى واندبي على الاشلاء
واحذري الطيب ان يمس غلاماً ... في نديّ او غادة في خباء
وأعدّي للثأر حمر السرايا ... واحشديها للوثبة الرعناء
يوم بدر يوم أغر على الأيام ... باق ان شئت او لم تشائي
ركز الله فيه اسمى لواء ... وجثا الخلد تحت ذاك اللواء

طوى الحول وانطوى أحداً فيه ... ولم تحملي سوى الضراء

اي ذل على جفرنك يعوي ... وركاب النبي ملء العراء

حل في مكة ووجهك في الترب ... خضيب ، ووجهه في السماء

ومشى للصلاة والكعبة السمحة ... في غمرة من النعماء

وتعالى التكبير يا سدة الاصنام ... ميدي ويا علوج تنائي

واشهدي يا سماء ان رسول الله ... اوفى بالعهد خير وفاء

* * *

وجم المؤمنون في رهبة الظن ... ونام وا على رؤى سوداء

وتمطى على المدينة صبح ... كاسف الوهج قاتم الأفياء

احمد ودع الحياة فيا فاروق ... اقصر ما فيك من غلواء

كل حي رهن الفناء وتبقى ... آية الله فوق طوق الفناء

* * *

يا نجيّ الخلود تلك سراياك ... على كل ربوة غناء

حملت صبوة الشآم وفضتها ... اريجاً على فم الزوراء

وشجتها غرناطة فشفت منها ... فؤادَ الصبية الحسناء

فاذا الارض في عرائسك الأبكار ... مغنى سنى ومجلى سناء

حلم وانقضى فيا للمناجي ... زهرَ اطيافه ويا للرائي

* * *

يا عروس الصحراء ما نبت المجد ... على غير راحة الصحراء

كلما اغرقت ليالها في الصمت ... قامت عن نبأةٍ زهراء

وروتها على الوجود كتاباً ... ذامضاء او صارماً ذامضاء

فأعيدي مجد العروبة واسقي ... من سناه محاجر الغبراء

قد ترف الحياة بعد ذبولٍ ... ويلين الزمان بعد جفاء

١٩٤١

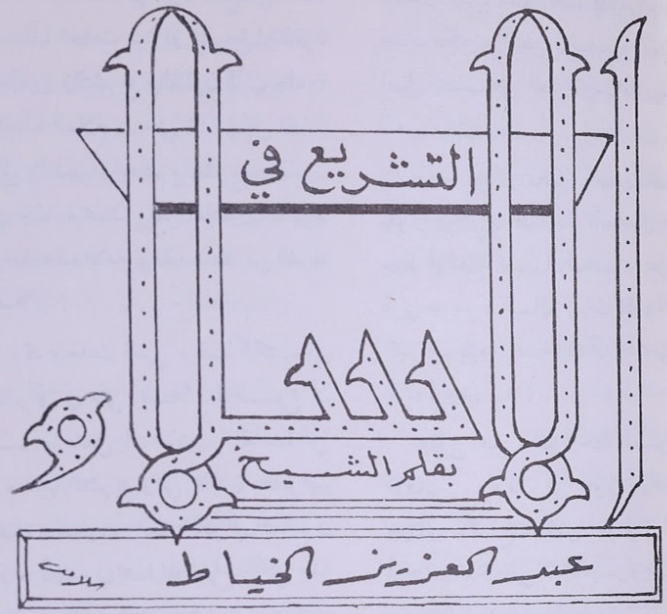

الحمد لله وسلام على رسوله الذي اصطفاه، وتحية طيبة لكم، قطعة من جيشنا وعدة من اسلحتنا ، وعصبة من ابطالنا جنودا ابرارا، سواء اكنتم قادة أم افرادا . .

ايها الاخوة —

عندما كلفني الأخ الكريم الزعيم عمر المدني المدير العام للتعبئة المعنوية والعلاقات العامه ان اكتب في موضوع يتعلق بالتشريع فكرت في ذلك طويلا . . هل هناك من يجهل تشريع الاسلام بخطوطه العريضة وقواعده الكلية ؟ . هل هناك من يجهل كيف انبثق نور الاسلام مع محمد عليه السلام فهدى به العرب من حوله ثم حمله هو وصحابته الى الشعوب الأخرى فاهتدت به ، وحكمت قوانينه وعملت باحكامه . وواجه علماؤه ومشرعوه كل مشكلة من مشاكل الحياة فحلوها واستنبطوا لها من كتاب الله وسنة نبيه من قواعدهما الكلية كل حكم شرعي وقانون فرعي لكل جزئية من جزئيات الحياة . .

لا اعتقد أن انسانا ما يجهل ان دولة اوجدها محمد ، وامة انقذها محمد ، فظلت في التاريخ حتى مطلع القرن العشرين ، تسير العالم وترسم سياسته — لا اعتقد ان احدا يجهل انه كان لها دستور وقانون ، وتشريع واحكام ، تهتدى به وتسير على

نهجه . . ولست اعلم — ولا اعتقد ان احدا يعلم — انها اخذت دينا او تشريعا او قانونا غير الدين والتشريع والقانون الذي جاء به محمدعليه السلام . . حتى تركنا نحن انفسنا العمل بالدين والحكم والتشريع والقانون الذي جاء به محمد رأس الهاشميين الابرار وموجد هذه الامة ومنقذها من الشرك والضلال . .

وقد وجدت نفسي وانا اكتب الى اخواني في مثل هذا الموضوع أن اهم ما يشغل بال الناس ، القاعدة التي يقوم عليها التشريع وهي الايمان بالله وفهم القضاء والقدر ،ورحت افكر في ان اسوق اليكم ما أفهمه في هذا الموضوع لأبني عليه نظرة الاسلام في التشريع . . .

كنت تائها في صحراء الحياة، اضرب فيها على غير هدى . .

واسير فيها هنا اتلمس الطريق فيتعبني المسير . . .

وأسير هناك ابحث عن قطرة ماء تبل لهاتي المحترقة فيتعبني المسير . .

يلتمع بريق وسط بحيرات من الماء تتراقص اشعته امام عيني ، فاغذ السير ، واسرع الخطا متوقد الذهن ،متشوق النفس فلا ابلغ الشاطيء الذي اريد . .

ويلتمع بريق آخر ، ويضطرب مع اللمعان نصب وسط الماء، فاعيد السير من جديد مكدود الذهن ، ضعيف الأمل فلا اصل النصب حتى اجد الماء سرابا، ويذهب التعب سدى . .

ويتسرب الى ذهني ، صوت ضعيف يقوى قليلا . . قليلا ، كأنه خيال انسان يهبط في مظلة تغشّيها السحب ، حتى اذا قوي جرسه ، كان كلمات الله (اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) .

واقبل الليل ، ثقيل الخطا ، موحش الاقبال . . واقبلت من حولي جماهير . . جماهير الأشباح تتراقص حوالي . . كأنها تريد ان تتخاطفني ، فأدير وجهي يمنة ويسرة لعلي لا ارى الاشباح . .

واغمض عيني . .

وتقبل جماهير الاوهام . . تلقي بي في حيرة . . وتسلمني الحيرة الى شك . .

اين انا . . ؟

كنت في النهار ارى الفضاء الواسع ، وارى الشمس الساطعة ، والرمال الممتدة، واتمكن من السير ، دون ان اصل الى نقطة ابتداء او انتهاء . ودون ان يبل شفتي قطرة ماء . .

وانا في الليل ، لااستطيع السير ، اتطلع الى اعلى فلا ارى الا النجوم وماعساها ان تهدي.. وانظر امامي وخلفي فلا اجد الا الاشباح

من اين اقبلت ؟

والى اين تسير ؟

لست ادري . .

وفتحت عيني . . وتطلعت : :

تكاثري يا ظلمات ، تراقصي يا اشباح

وتلمست جسدي . . لعلني شبح من الاشباح ، وتحسست ثيابي لعلها وهم من الاوهام . .

ما بال الظلام يشتد : .

صحراء وليل . .

وظلام واشباح . .

وحيرة وشك : .

وتسلّلت الى ذهني — بطيئة وئيدة — كلمات .. يزداد صوتها رنينا فاذا بها كلمات الله (كظلمات في بحر لجي يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يكد يراها)

وظللت اسمع رنين الكلمات . .

انها تصوير الظلمة التي احيا فيها . .

اتعزى بها عما حولي ،

ابدد بها الاوهام . .

وأطرد بها الاشباح . :

وتساءلت من اين تسربت الي ، تزيدني ظلمة في الظلام . . وبدأ الخوف من حلكة الظلام ، وطول الليل ينتابني . .

وتقرّيت نفسي كما تلمست جسدي . .

اين هي ؟

انفسي معي ؟

ويطول بي الجلوس حيران في صحراء الحياة وليلها . .

ويهجم الغلس . . وتعصف بي الحيرة ويشتد بي الخوف حتى كدت ان استطير جزعا ، وكادت نفسي تتفجر حيرة . .

واهم بالصياح . .

لولا . .

لولا انفاس الصباح تهب رخية بندى الفجر . .

وتتسلل اشعة النور من جديد . .

وتطن الكلمات التصويرية من جديد . .

وينخلق في نفسي معنى جديد . . في كلمات تتوقد وهجا — هي كلمات الله :

(الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دريّ يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء)

ورأيت مع الفجر هدى يرشدني الى الطريق . .

وهبت مع الفجر نسائم تبعث الأمل في نفسي . .

وتلمست جسدي فاذا انا موجود .

ورجعت الى نفسي فاذا بها مطمئنة .

ونظرت في ضوء النور فاذا الصحراء لها حدود ، وتطلعت الى السماء فاذا النجوم الظاهرة لها حدود .

لقد استهديتها فما هدتني . .

واعتمدت على الرمال فما ارشدتني . .

ادركت ان لها حدودا ، وأنها في الوجود قسم من الموجود . .

وان موجد الموجود ، اكبر من الوجود (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) .

واهتديت . . في خيوط النور الرباني تنفذ الى قلبي ، اسلاكا تشدني الى الحياة . . وتربطني بالله . .

وقلت للظلمات : غلفيني . .

وقلت للأشباح : تراقصي من حولي

وقلت للأوهام : حيريني ما شئت

فلن يعيق غلاف الظلمات نور الله . .

ولن يخيف تراقص الأشباح نفسي . .

ولن تحول الأوهام بيني وبين الاطمئنان

ان ايماني بالله ، يشدني الى الحياة ، ويبصرني للعمل فيها . ويهديني سواء السبيل

ان ايماني بالله يبدد يأسي ، ويمنع حيرتي ، ويذهب قلقي ، ويمتعني بأطايب الحياة . .

وأقبلت قافلة الصحراء مع حبات الضوء التي تساقطت في قلبي . .

فشددت رحلي الى رحالها ، وسرت مع الانسانية في الطريق . .

وسألني رفيق : —

من اين يا صديقي ، أأنت سيرت نفسك ، ام انت لا تملك المسير ؟

وقلت للرفيق : هداني العليم الخبير . .

وقال لي الرفيق : بل انت مجبر على الطريق .

وقلت للرفيق : الا تفيق ، انا ملك ما اريد ، انا الذي اختار ما أشاء . .

فقال : أأنت اوجدت نفسك في الحياة؟ أانت كونت كيانك على ما تشاء ، أأنت الذي القيت بنفسك في الصحراء .؟

قلت : لا . . ذاك هو القضاء ، فأنا وأنت يا صديقي نملك اشياء ، وتملكنا اشياء نحن لا نملك البقاء ولا الفناء ، نحن لا نملك الرزق ، ولا نتصرف في خلق الوجود ، نحن لا نملك ان نرد سنة الكون في افلاكه ولا الطبيعة في احداثها . . نحن لم نقدر في الأشياء مقاديرها وخصائصها وطبائعها ، وانما قدرها الله فيها ، وذاك هو القدر ، اوعيت ؟ ؟ هذا هو القضاء ، وخصائص الأشياء وقابلياتها وطبائعها . القدر (انّا كل شيء خلقناه بقدر) . .

وأنا وأنت وكل انسان شيء ، خلقنا الله على صفة معينة وفي زمان معين فذاك قضاء . .

وأعطانا عقلا نميز به بين الموجودات ووضع فينا غرائز ، وجعل لأعضائنا حاجات ، وهذا قضاء ، ولكنه جعل التمييز في العقل والميول في الغرائز والاستجابة في الحاجات وهذا قدر ..... هذا ما لا نملكه . .

اما ما نملكه . . فان الله ارشدنا الى الخير فيما أمر ، ونهانا عن الشر فيما نهى ، وقال لي ولك ولكل انسان : — معك عقل تميز به الشر من الخير والهدى من الضلال ، وأنت تملك ان توجه الميول في غرائزك نحو الخير ، وتجعل الاستجابة في الحاجات العضوية نحو الهدى ، انت تملك ان تتزوج بدل ان تزني ، وان تشرب الماء بدل الخمر وان تأكل اللحم المباح بدل لحم الخنزير ، انت تملك ان تسامي صنيعة الاحسان بدل ان تتصف بالعدوان . .

وقال الرفيق : — اذن انت مخير في الحياة؟

قلت : — في حدود ، خطها رب العالمين وجعلك تسير ضمنها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (كل يعمل على شاكلته) (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .

وقال الرفيق : — وكيف اهتديت وكنت قبلا من الضالين ؟

قلت : ذاك من اشعة النور التي هدت قلبي : : نور الله :

قال : — فاذن لم تهتد باختيارك . .

قلت : — ضللت فتحيرت ، فشككت ثم اهتديت .

قال : — وما تقول في قوله تعالى (قل لن يصيبنا الاّ ما كتب الله لنا)

قلت : — ذاك قضاء الله الذي لا املكه.

قال : — فلم يحاسبك على مالا تملك ؟

قلت : — لا . . ليس الله بظلام للعبيد ، انما يحاسبني الله على ما املك في توجيه الميول للشر او للخير (كل نفس بما كسبت رهينة) اما قضاؤه فلا يحاسبني عليه انما يحاسبني على الصبر والرضا بقضائه بالخير والثواب ، او ان جزعت ولم ارض بقضائه يحاسبني بالعقاب على الجزع وهما ملكي وتحت ارادتي . .

قال الرفيق : — الآن وعيت وازددت ايمانا بقضاء الله .

قلت : — فلنمض في الطريق نجاذب اعنة الركائب اطراف الأحاديث . .

قال : — والقافلة .

قلت : — هي معي ومعك على الدرب ، تسمع حلّ المشكلتين الرئيسيتين (الايمان بالله والايمان بالقضاء والقدر وموقف فعل الأنسان منهما) . .

وهما اول ما حلّ الأسلام في حياته الأولى من مشكلات .

فكان الايمان الذي لا تزعزعه

الدواهي ، ولا تنقضه الاحداث ، ولا يوهنه سياط المعذبين على رمال مكة ، وانما يمضي في قوة وعنف ، كلما ازدادت مقاومة الطغيان عنفا وقوة ، انه ايمان المؤمنين الذين لا ترهبهم زمجرة الحاكمين (قال أأمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى) قالوا : (لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا ، فاقض ما انت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا ، انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) .

ايمان يقوم على العقل فاذا آمن بالله عقلا ، بما يرى الانسان في فطرته وفي خلقته وفي الوجود ، والانسان الحي المميز فيما ندرك ، وهو ارقى المخلوقات فيما نحس لا يملك ان يتصرف في الكون ، وان كان يملك ان يكشف اسرارها ويستخدمها فهو اذن لم يصنع الكون . . واذا كان ارقى ما نحس به في الكون لم يصنعه ، فلن يصنعه ما هو دونه من الموجودات ، والشيء لا يوجد نفسه ، فلا بد ان يوجده موجد ، وهذا الموجد هو الله .

والعلاقة بين الموجد والموجود قائمة بدليل التنظيم الذي نراه في الموجودات ، فلا بد ان تكون العلاقة بين الموجد والانسان . . فكانت الاديان ، وختامها الاسلام ، ارتبطت العلاقة بالقرآن ، والقرآن بين عناصر الايمان (يا ايها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزل على رسوله ، والكتاب الذي انزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا) .

فهي ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من المغيبات ، كالجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والحشر والبعث وغيرها ، ثبت اصلها بالعقل ، وثبتت بالقرآن باخبار (الله) الذي آمنا به .

وكان منهم القضاء والقدر توكلا على الله ، وعملا في الحياة ، فلا كسل ولا خمول ولا تضييع في مجال العمل ، ولا تقاعس مع القدرة على الانتاج (وامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور)

قال الرفيق : — افكان العقل اذن دليل الايمان ؟

قلت : — العقل اداة التفكير الهادي الى النظر في الكائنات وهو الموصل الى الايمان؟

ومضت بي وبرفيقي قافلة الحياة . .

وقد اهتديت واهتدى ، ومضيت معه استعرض ما نجم عن العقيدة الاسلامية التي هي اصل التشريع ، وكيف استطاع هذا

الانسان ، انسان عين الوجود ، محمد عليه السلام ، ان يمضي بالانسانية زمنا ، ارسى فيه قواعد التشريع في الاسلام ، ووضح فيه كيفية حل المشكلات الجزئية ، من قواعد عامة مضى عليها اصحابه من بعده ، لم تعجزهم مشكلة ، ولم يعوزهم قانون ، وانما استهدوا بما استهدى به (محمد) بالبصيرة النيرة تفهم كتاب الله ، وما تركه محمد عليه السلام من سنته القولية والفعلية والسكوتية ، فكلها وحي من عند الله سواء اكانت باللفظ والمعنى وهو القرآن ، ام بالوحي فقط وهو الحديث (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) .

وجاء تلاميذهم وقد انتثروا على كل رقعة ، وتوزعوا في كل بقعة ، واتخذوا من عواصم العالم الاسلامي مراكز للعلم والتشريع ، فكانوا يجتهدون في كل مسألة طارئة ويبينون حكم الشرع في كل حادث جديد ، فخلفوا كتبا في الفقه لو اذيب مدادها لغير لون مياه النيل ، وانما كانت من سواد الليالي التي قضوها سهرا وفكرا كشفوا فيها عن روعة الاسلام ، لا يعجز فيها عن مشكلة فهو حلال المشاكل ما كان منها بين الله وعباده ، وبين الانسان ونفسه ، وبين الانسان واخيه الانسان ، فردا مع فرد ، او جماعة مع جماعة ، او دولة مع دولة ، وكان ان تناولت شريعة الله احكاما عامة ، واخرى تفصيلية تبنى عليها .

فمن القواعد العامة قاعدة الشورى في الحكم (وشاورهم في الامر) وقاعدة العدالة فيه (اعدلوا هو اقرب للتقوى) و (اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) وقاعدة (نفي الضرر والضرار) وقاعدة (تغير الاحكام بتغير الازمان) وقاعدة (درء المفاسد مقدمة على جلب المصالح) وعشرات غيرها كلها احكام عامة يندرج تحتها كثير من جزئيات التشريع ، تستنبط بطريقة الاجتهاد . ومن الادلة التي اعتمدها الاسلام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، او غيرها من الادلة المختلف فيها كالاستحسان والاستصحاب والاستصلاح والمصالح المرسلة وعمل اهل المدينة وغيرها .

وقد عمد الاسلام لتنفيذ تشريعاته الى أمرين :

أ) التوجيه الذي يوجد في المسلم تقوى من الله تدفعه الى مراقبته وخشيته وقيامه بالعمل طواعية واختيارا ، لا يشعر الا برقابة الله ، ولا يبالي الا بأمر الله ، ومن هنا لا يشعر المسلم بغضاضة من تنفيذ القانون ، فهو عندما يصوم لا يطلع عليه احد في صومه ، ولا يكون بينه وبين الطعام احد ، لا يأكل لانه يدرك ان الله

معه ، وهو في تنفيذ اوامر الدولة يراقب الله وحده ويخشاه قبل خشية العقوبة التي نص عليها القانون .

واني لاضرب مثلا واحدا يتبين فيه قيمة هذه التقوى في ايجاد الطمأنينة وتبديد الحيرة واطاعة القانون ، وكيف انها حين خلت من التشريع الوضعي لم يستطع القائمون على تنفيذ هذا التشريع تنفيذه على الرغم من سطوة الدولة ، والدعاية للقانون.

حرم الاسلام الخمر ، ومهد لهذا التحريم ببيان ان للخمر منافع ومضاراً (ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) وانتهز فرصة شرب بعض الصحابة وصلاتهم وهم سكارى فنهى عن صلاة السكران وحرمها (ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) ، ثم حرم الخمر بعد ذلك تحريما باتا في قوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فكان تأثير كلمة (فاجتنبوه) ان اراق المسلمون الخمر وشقوا زقاقها بالمدى والسكاكين وامتنعوا عن شربها —فورا— طائعين مختارين .

بينما جربت حكومة الولايات المتحدة ان تحرم الخمر — لما لها من مضار — فشرعت قانونا بتحريمها سنة ١٩٢٠ ومنعت شربها وبيعها وتصديرها ، فهل امتنع الشعب الامريكي وهل خضع لهذا القانون ؟

لقد استعملت الحكومة الامريكية لتنفيذ هذا القانون كل وسائل الدعاية في السينما والتمثيل ونشر الكتب والرسائل ، وانفقت (٦٥) مليون دولار ، وسودت (٩) تسعة آلاف صفحة في بيان مضار الخمر وقتل في سبيل تنفيذ القانون مائتا نفس وحبس نصف مليون ، وغرم الشاربون مليونا ونصف مليون من الدنانير وصودرت اموال بسبب المخالفة قدرت باربعمائة مليون دينار ، ومع هذا فقد اضطرت الحكومه الامريكية لألغاء هذا القانون سنة ١٩٣٣ .

ومن هنا يتبين مدى روعة التوجيه في الاسلام كعامل اساسي في التشريع ، وهو الذي دفع بالمسلمين حين زنيا (ماعز والغامدية) ان يأتيا — كل على حده — الى رسول الله ﷺ يطلب كل منهما ان يتطهر من ذنبه باقامة الحد عليه .

وهذا الذي دفع رجلا ان يأتي الى رسول الله (ص) في رمضان ويقول ؛ هلكت يا رسول الله واقعت زوجتي وانا صائم . فتنزل الآيات بفرض الكفارة عقوبة له ولغيره / عتق رقبة او اطعام ستين مسكينا او صيام شهرين متتابعين ، وهي التي دفعت بابي لبابة وقد شعر انه

اسدى خدمة لليهود اعداء الله فعدها خيانة فربط نفسه في ساريـة المسجد ليهلك او يغفر الله له .

هذه هي التقوى التي يوجدها التوجيه الاسلامي ، وما اكثر امثلتها في تاريخ الاسلام الطويل .

ب- (وثانيهما) العقوبات التي وضعها لمن خالف الاوامر الاسلامية ، وهذه لا يلجأ اليها الا بعد اثبات الذنب بصورة لا تحتمل الشك ولا الشبهة ، فاذا لم تثبت كذلك لم توقع العقوبة ، ويكتفي حينئذ (بالتعزير) وهو عقوبة لم ينص القرآن ولا السنة النبوية عليها ، وانما تركت للقضاء يعاقب المذنب بعقوبة تتكافأ والذنب الذي ارتكبه .

والاسلام في تشريعه — استهدف المقاصد العامة التي ترمي الى حفظ الخلق وهي الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينات

اما الضروريات فهي التي لا بد منها لصالح الناس ، اذا فاتت عم الفساد واستشرت الفوضى ، واختل نظام الحياة وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال .

يكون حفظ هذه الخمسة ايجابا وسلبا اما الايجاب فبفرض الاوامر التي تدعو الى القيام بالفعل .

واما السلب فبالنواهي التي تدعو الى ترك الفعل .

فمن الاوامر التي تدعو لحفظ الدين مثلا — الايمان بالله وبعناصر العقيدة الاسلامية والقيام بالعبادات ، ومن النواهي المتعلقة بحفظ الدين — قتال المرتدين عن الاسلام والنهي عن المنكر .

ومن الاوامر التي تحفظ النفس — ايجاب المأكل والمشرب والملبس . فلا يجوز للانسان ان يتبتل تبتلا يعطل الحياة (يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك) (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) ولا يحل له ان يقتر على نفسه وعياله .

ومن النواهي التي تحفظ النفس — تحريم القتل وتحريم الانتحار .

ومن الاوامر التي تحفظ العقل ايجاب معرفة احكام الشرع ، وضرورة النظر في ملكوت الله وتحرير العقل من الاوهام والخرافات (قل انظروا ماذا في السموات والارض) (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق) (ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك)

ومن النواهي التي تحفظ العقل تحريم شرب الخمر وما في حكمها من حشيشة وافيون وهيروين وكوكائين وغيرها .

ومن الاوامر التي تحفظ النسل تشريع الزواج وايجابه عند فوران الشهوة وتنظيم الاسرة ، وتكريم المرأة وتحريرها

من اسر الرجعية والتقدمية على السواء .

ومن النواهي التي تحفظ النسل تحريم الزنا واللواطة والعادة السرية والاجهاض الا لضرورة ، ومنع تحديد النسل الا لضرورة وتشريع الحدود والعقوبات لذلك .

ومن الاوامر التي تحفظ المال — اباحة نقل الملك بعوض ، كالبيع والشراء او بغير عوض كالهبة ، والميراث ، واباحة الشركات ، وضمان المتلفات وغير ذلك وتنظيمه تنظيما رائعاً . ومن النواهي التي تحفظ المال — تحريم السرقة والنهب والسلب والغصب وغيرها ووضع العقوبات الرادعة لهذه المحرمات .

واما الحاجيات فهي الامور التي لا بد منها للتوسعة على الناس ورفع الحرج او المشقة عنهم سواء اكان ذلك في العادات كاباحة التمتع في المأكل والملبس او في المعاملات — كتحبيذ القرض الحسن والسلم وهو بيع المجهول ، والاستصناع وهو بيع المعدوم ، او في الجنايات — كدرء حد القتل بالشبهة ، او في العبادات كاباحة الفطر للمريض والصلاة قاعدا للمتعب .

واما التحسينات — فهي الاخذ بمحاسن الاخلاق والعادات ، كازالة النجاسة ، وستر العورة ، والتقرب الى الله بالنوافل ، والصدقة غير الواجبة ، ومنع بيع الزائد من الماء .

وقد راعى الاسلام الطبيعة الانسانية في حل المشاكل فعمد الى رفع الحرج والمشقة عند تطبيق الاحكام فكانت الرخص التي قال عنها عليه السلام (ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه) واعني بالمشقة الزائدة التي تضيق بها الصدور وتؤدي الى التبرم بالاوامر والنواهي ، وتؤثر على الانسان في بدنه او ماله ، وهذا هو المقصود من قوله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) اما المشقة العادية فلا بد منها ، لأن اي عمل من الاعمال لا يحصل الا بشيء من المشقة فالله سبحانه وتعالى فرض الصلوات الخمس وفيها مشقة عادية ولكنه رخص للمريض ان يصلي قاعدا لما فيه من رفع مشقة زائدة تضر ببدن المريض . والله سبحانه امر بالجهاد وفيه مشقة ولكنه رخص للأعمى في القعود عن الجهاد لان فيه عليه مشقة زائدة . والله سبحانه حرم اكل الميته لكنه رخص اكلها بقدر معين للضرورة . والله سبحانه فرض الحج لكنه اسقطه اذا لم يتيسر اليه السبيل كعدم القدرة على النفقة او وجود العدو في الطريق ، وهكذا كان رفع الحرج والمشقة في الاحكام

كما عمد الاسلام الى تعليل الاحكام مراعاة لطبيعة العقل الانساني لكي يستطيع

قياس الاشباه بالاشباه والنظائر بالنظائر ، وجعل درء المفسدة وجلب المصلحة علة كبرى لكثير من الاحكام ، فمما علل به قوله تعالى في تعليل القصاص (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب) وقوله في تعليل اعداد العدة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم) وقوله في تعليل توزيع الفيء — وهو الغنيمة التي اخذت بغير قتال — على المحتاجين فقط (لكيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) اي متداولا بين الاغنياء ، وقوله في تعليل تحريم مقاربة النساء في المحيض (قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض) .

ومجال الاجتهاد هنا واسع للعلماء لا للجهلاء ، مفتوح لمن ملك ادوات الاجتهاد من العلم (باللغة العربية) والقرآن مكيه ومدنيه ، ناسخه ومنسوخه ، مطلقه ومقيده محكمه ومتشابهه ، وعلم اسباب النزول ، واسلوب القرآن في اوامره ونواهيه ، وما يتعلق به من الابحاث الاصولية المتعلقة بمعرفة القرآن ، وعلم من الحديث سنده ومتنه ، وما يتعلق بالسند من احوال الرواة ودرجاتهم وانواع الاحاديث متواتره وصحيحه وضعيفه ، واطلع على اصول الاجتهاد الاخرى . . وكان في ذلك ذكي الفؤاد ، ورع التقوى ، سواء اكان اجتهاده مطلقا او اجتهاد مذهب او اجتهاد ترجيح او اجتهاد مسألة .

وما دامت قافلة الانسانية تسير ، فلكل زمان مسائل تتجدد ، ومشاكل تتولد تحتاج — عند المسلمين — الى بيان الحكم الشرعي فيها ، واعني بالحكم الشرعي — خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين من الفرض والواجب والمندوب والحلال والحرام والمكروه .

وهنا يبرز دور العقل في الاسلام — كما برز في اثبات وجود الله — لكي يثبت ان الاسلام حلال المشاكل في تشريعه ، فالعقل اداة الفهم والاستنباط ، والاسلام يقدر العقل ويقدم الشرع ، فالحسن ما حسّنه الشرع والقبيح ما قبّحه الشرع ، والعقل الاداة التي ندرك بها حسن الحسن الذي دل عليه الشرع ، وقبح القبيح الذي ارشد الى قبحه الشرع ، وهو الاداة التي ندرك بها علل الاحكام فهو مظهر لحكم الشرع لا مثبت له . فنستنبط — بالعقل — حكم الشرع لما جد من المسائل ، ولنأخذ على ذلك مثالا قديما ومثالا جديدا —

فالمثال القديم — ورد في تحريم البيع حين صلاة الجمعة قوله تعالى « اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » والعلة في هذا التحريم هو الانشغال عن الصلاة ، فالعقل هنا يظهر

حكم الاشتغال بعمل آخر غير البيع كالسباحة او اللعب او تأجير منزل او غيرها ، بأنه حرام لان العلة وهي الانشغال عن صلاة الجمعة قد تحققت في هذه الاعمال .

والمثال الجديد . .

اباح الاسلام الشركة بين الافراد سواء اكانت اشتراكا بالاموال والاعمال ، او بالاموال من جهة والاعمال من جهة اخرى ، اوبالاعمال من المشتركين كشركة الوجوه والصنائع ، والعلة في ذلك جلب المصلحة ودرء المفسدة ، والشركة تنفسخ بموت احد الشريكين ، وهي في نفس الوقت توكيل من صاحب المال لصاحب العمل بالتصرف بماله . وقد وجدت اليوم الشركات المساهمة الكبرى وبالنظر اليها نجد انها تحقق مصلحة وتدرء مفسدة ، فهي تعمل على تنمية الاقتصاد وتصنيع البلاد ، وتدرأ مفسدة تسلط الاجانب على اقتصادنا ، فتباح لهذه العلة بشرط ان لا يدخلها الربا او اشتراط ربح معين لافراد ممتازين ، وتحقيقا للمصلحة لا تفسد بموت احد المساهمين قياسا على المزارعة اذ لا تنفسخ بموت صاحب العمل او المال خشية من تلف الزرع .

وقد راعى الاسلام كذلك الطبيعة الانسانية في تقليل التكاليف اذ نهى عن كثرة الأسئلة فيما لم يرد فيه نص خشية ان ينزل التحريم ، وذلك في عهد النبي (ص) كما قال تعالى (ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) وكما قال (يا آيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم) وكما قال عليه السلام (ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة مسائلهم واختلافهم على انبيائهم) وقد جعل القاعدة العامة (ان الأصل في الأشياء الاباحة ما لم يرد دليل التحريم) وما اجمل في هذا التقليل من التكاليف قوله (ص) (اعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين فحرم عليهم من اجل مسألته) .

ولعلي هنا ، لا اغفل ناحية هي من أهم مايجعل الاسلام دينا قيما يحل مشاكل العصر ، وكل عصر وجيل ، هو انه صالح لكل زمان ومكان ، اي فيه من القواعد الكلية ، والخطوط العريضة ما يمكن المجتهدين من ان يستخرجوا منها الحكم الشرعي ، وفيه من الشمول والعموم ما يفي بحاجات الناس ولا يضيق بها ، وفيه من الأحكام ما يصلح كل الناس في اي زمن من الأزمان ، ولا يعني ذلك ان ينحدر مع عادات الناس اذا انحرفت ، او مع افكارهم اذ هي اسفت ، وانما يعمل على اصلاحها وردها الى الخط المستقيم ، وصدق الله حين يقول (ان هذا القرآن يهدي التي هي اقوم) (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) .

« من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين »

« حديث شريف »

من فقهاء الاسلام

التعريف : عبد الله سالم الرواشدة

ابو عبد الله - محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه

١ - نسبه ومولده

اسمه محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، عربي قرشي يلتقي مع الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، في جده عبد مناف ، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ وقد هاجر مع امه بعد وفاة ابيه الى مكة ، ولما يتجاوز عمره السنتين وشب فيها ، وتعلم اللغة والادب والشعر والفقه والحديث وعلوم القرآن ، كما حفظ القرآن فيها ، وكان في ذلك كله مثار اعجاب اساتذته وشيوخه ، لفرط ذكائه وشدة فهمه ، وقد نشأ فقيراً رقيق الحال ، حتى انه كان وهو يطلب العلم يجمع قطع الفخار وسعف النخل وعظام الجمال ليكتب عليها .

٢ . نشأته العلمية

تعلم الشافعي الاحاديث وهو صغير ، وأخذ يكتبها ، كما حفظ القرآن ، وعني بتعلم قواعد اللغة العربية ، وارتحل في سبيل ذلك الى مضارب قبيلة (هذيل) في البادية ، ومكث هناك نحو عشر سنين ، يتعلم كلام العرب الصحيح ، حيث كانت هذيل من افصح قبائل العرب ، كما عني بتعلم الرمي بجوار العلم ، وبرع فيه حتى انه قال في ذلك (كانت همتي في شيئين في الرمي والعلم فصرت في الرمي بحيث اصيب عشرة من عشرة) ولما قارب العشرين من عمره ،

انتقل الى المدينة المنورة ، ليأخذ العلم عن الامام مالك بن انس (رضي الله عنه) ثم رحل منها الى العراق والتقى باصحاب الامام ابي حنيفة ، واخذ عنهم فقههم ، ثم رحل الى فارس وشمال العراق ، ثم عاد الى المدينة المنورة ، بعد قضاء سنتين في هذه الرحلة ، حيث ازداد معرفة بشؤون الحياة ، وطبائع وعادات الناس ، وبعدان توفي الامام مالك ، سافر مع والي اليمن اليها ، واشتغل في تدريس العلم فيها ، الى ان وشي به عند الخليفة هرون الرشيد ، فاستدعاه الى بغداد ، وسرعان ماظهرت براءته من التهمة التي اسندت اليه وارتفع مقامه عند الرشيد ، وعرف قدره وعلمه ، ثم اقام في بغداد بعد هذه الحادثة يدرس العلم ، فاقبل الناس عليه افواجا ، يأخذون العلم عنه ، ثم عاد بعدها الى مكة المكرمة ، وتفرغ لنشر مذهبه الذي كان يتلقاه عنه بعض العلماء الوافدين للحج ، وينقلونه الى بلادهم ؛ وفي عام ١٩٨ هـ عاد الى بغداد ، ومكث فيها شهراً ، ثم ارتحل الى مصر ، واقام فيها حتى توفي سنة ٢٠٤ هـ .

٣ . شيوخه وتلاميذه

كان من بين من تلقى عنهم العلم مسلم ابن خالد الزنجي ، وسفيان بن عيينة من مكة ، واما في المدينة فقد اخذ العلم عن الامام مالك ابن انس ، وابراهيم الانصاري والد اروردى وغيرهم ، وله اشياخ من اليمن ، منهم مطرف بن مازن ، وعمر بن ابي سلمة ، وابن حسان ، ومن العراق ، اخذ العلم من محمد ابن الحسن ، ووكيع بن الجراح ، وابن اسامة الكوفي وغيرهم .

وكما ان له مشايخ واساتذة ، فله تلاميذ اخذوا عنه العلم ، وبرعوا فيه ، منهم ابو ثور ، والمزني ، والكرابيسي ، والاشعري والربيع بن سليمان ، وغيرهم كثير ، ولكن اشهر تلاميذه الامام احمد بن حنبل .

٤ . بلاغته

كان الشافعي صاحب بيان فصيح وتعبير جزل ، وفي كلماته التالية التي رويت عنه اصدق دليل على مدى ايجازه واعجازه :

ليس باخيك من احتجت الى مداراته

العلم افضل من صلاة النافلة

رضا الناس غاية لاتدرك

من صدق في اخوّة اخيه
قبل علله ، وسد خلله ، وغفر زلله

فقر العلماء فقر اختيار
وفقر الجهال فقر اضطرار

من لم تعزه التقوى ، فلا عزّ له

من غلبته شدة الشهوة للدنيا

لزمته العبودية لأهلها

سياسة الناس اشد من سياسة الدواب

لو علمت ان شرب الماء البارد يثلم مروءتي لما شربته

من نم لك ، نم بك

من اذا ارضيته قال فيك ما ليس فيك
واذا اغضبته قال فيك ما ليس فيك

من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه جهرا فقد فضحه وشانه

ان الله تعالى خلقك حرا
فكن حرا كما خلقك الله

من ولي القضاء ولم يفتقر فهو لص

ومن هذا يتضح ان الشافعي كان ذا سليقة في العربية ، فقد كان لا يخطيء ولا يلحن ، ولذلك قال فيه ابن هشام العالم النحوي (طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط ، ولا كلمة غيرها احسن منها ، وقد قال عنه الربيع وهو يصوّر بلاغته (كان لسان الشافعي اكبر من كتبه) .

٥ . شعره

قد يعجب بعض الناس اذا قيل لهم ان الشافعي العالم الزاهد صاحب المذهب كان شاعرا بليغا ، ولكن هذا هو الواقع ، فقد كان يجيد الشعر حتى قال المبرد عنه (كان الشافعي من اشعر الناس وآدب الناس) ولكن شعره كان من نوع الشعر الحسن ، ولنذكر من شعره ما يدل على نوعيته :—

قال الشافعي في مدحه للرسول عليه الصلاة والسلام .

يا راكباً قف بالمحصب من منى
واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحرا اذا فاض الحجيج الى منى
فيضا كملتطم الفرات الفائض

ان كان رفضا حب آل محمد
فليشهد الثقلان اني رافضي

وروى ان اسماعيل بن يحيى المزني ، دخل عليه وهو في مرض الموت ، فقال له كيف اصبحت ؟ فرد قائلا : اصبحت في الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولكأس المنية شارباً وعلى الله جل ذكره واردا ، ولا والله ما أدرى روحي تصير الى الجنة او الى النار ، فاعزيها واخذ يبكي وينشد :

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت رجائي نحو عفوك سلّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك اعظما

فلولاك لم يقدر بابليس عابد
فكيف وقد اغوى صفيك آدما

وهاهو يصور حبه للارتحال في سبيل العلم ويقول :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فأن لذيذ العيش في النصب
اني رايت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وان لم يجر لم يطب
والاسد لولا فراق الغاب ماافترست
والسهم لو لا فراق القوس لم تصب
والتبر كالترب ملقى في اماكنه
والعود في ارضه نوع من الحطب

ويصور لنا الشافعي عزة نفسه وعلو همته بالرغم من فقره فيقول :

علي ثياب لو يباع جميعها
بفلس لكان الفلس منهن اكثرا
وفيهن نفس لويقاس ببعضها
نفوس الورى كانت اجلّ واكبرا
وما ضر نصل السيف اخلاق غمده
اذا كان عضبا اين وجهته فرى

وقد كان الشافعي يوآخي رجلا ببغداد ثم تولى هذا الرجل ولاية السيبين ، فتغيرت عاداته عما كانت عليه فكتب له الشافعي يقول :

اذهب ، فؤادي من فؤادك طالق
ابدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة
ويدوم ودك لي على ثنتين
وان امتنعت شفعتها بمثالها
فتكون تطليقين في حيضين
واذا الثلاث أتتك مني بتة
لم تغن عنك ولاية السيبين

* * *

٦ . صفاته واخلاقه

كان رحمه الله حسن الهيئة طويل القامة اسمر اللون حسن الصوت والالقاء يبكي القوم بقراءة القرآن وكان يقتصد في ثيابه ويتختم بخاتم كتب عليه (كفى بالله ثقة لمحمد بن ادريس) وكان ذا معرفة بالطب ومهارة في الرمي والفروسية حتى انه ليأخذ بأذن الفرس والفرس يعدو . وكان قوي الادراك حاضر البديهة واسع العقل ، حتى قيل فيه (هذا الرجل معه نصف عقل اهل الدنيا) وكان فصيح اللسان وطيد الايمان بارعا في الخطابة ، حتى لقبه بن راهوية (خطيب العلماء) ومن اخلاقه المروءة والكرم فقد قدم الى مكة من صنعاء ومعه عشرة الاف دينار ، فما برح حتى فرقها كلها وكان شديد التواضع كثير الحياء حسن المعشر حتى كان يطلب الى اصدقائه ان يقترحوا ما يحبونه من اطعمة ليصنعها لهم في بيته وكان ينفر من الشهرة والاعجاب بالنفس ، حتى كان يقول (وددت اذا ناظرت احدا ان يظهر الحق على يديه — وددت ان الخلق تعلموا هذا العلم على ان لاينسب الي منه حرف واحد — ما ناظرت احدا على الغلبة).

٧ . المحن التي تعرض لها

تعرض رحمه الله الى محنة قاسية كادت تطيح به ، ولكن الله انقذه منها ببلاغته وعلمه ونفاذ بصيرته ، وهذه المحنة ، كما رويت انه حدث اثناء اقامته في اليمن ان خرج تسعة من العلويين في اليمن على الخليفة — وكان آنذاك هرون الرشيد — واتهم الشافعي بانه عاشرهم فاستدعاهم الرشيد الى بغداد ، وامر بضرب اعناقهم . ولما جاء دور الشافعي قال للرشيد : مهلا يا أمير المؤمنين فانك الداعي وانا المدعو ، وانت القادر على ماتريد مني ، ولست القادر على ما أريده منك يا أمير المؤمنين ماتقول في رجلين احدهما براني اخاه ، والآخر يراني عبده ، ايهما احب الي ، فقال الرشيد ، الذي يراك اخاه ، فقال الشافعي ، فذاك انت يا أمير المؤمنين ، انكم ولد العباس ، وهم ولد علي ، ونحن بنو المطلب ، فانتم ولد العباس ترونا اخوتكم وهم يرونا عبيدهم ، فانشرح الرشيد لذلك ، وقال يا ابن ادريس كيف علمك بالقران ، فقال الشافعي ، عن اي علومه تسألني ؟ عن حفظه ؟ فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقعه وابتداءه وناسخه ومنسوخه وليله ونهاريه ووحشيه وانسيه وما خوطب به العام يراد به الخاص ، وما خوطب به الخاص يراد به العام ، فقال هرون فكيف علمك بالنجوم ؟ فقال اني لاعرف منها البري والبحري ، والسهلي والجبلي ، والفيلق والمصبح وكل ما يجب معرفته ، فقال هرون فكيف علمك بانساب العرب؟ فاجاب اني لاعرف انساب اللئام وانساب الكرام ونسبي ونسب امير المؤمنين فقال الرشيد . فهل من موعظة تعظ بها امير المؤمنين ، فوعظه بموعظة مؤثرة بكى منها الرشيد وامر له بمال كثير وهدايا فرقها عند الباب .

وبعد ، فهذا غيض من فيض ، وقليل من كثير ، بيناه لاخواننا عن احد فقهاء الاسلام الخالدين ، ولن استطيع في هذه العجالة ان افي الشافعي حقه من البحث ، كما لااستطيع ان ابيّن مختلف جوانب حياته وفقهه وعلمه وادبه وشعره ، لان ذلك يحتاج الى مجلد بل اكثر ، ولكن ارجو ان اكون قد اعطيت القاريء العزيز فكرة موجزة عن سيرة هذا العالم الجليل الذي قال عنه العلماء انه مجدد للدين في القرن الثاني الهجري . ورجائي ان تكون هذه السيرة بمثابة دليل لنا على سلوك الطريق القويم في مختلف جوانب حياتنا والتمثل بسلفنا الطاهر ، عسى ان نسترد بعض ما فقدناه من ديننا ودنيانا بقيادة جلالة مليكنا المحبوب ايده الله ، وحقق على يديه العز والسؤدد والنصر لهذا البلد ولسائر بلاد العرب والمسلمين ، انه سميع مجيب (ولينصرن الله من ينصره) (صدق الله العظيم) .

قصة العدد

مذكرات يتيم

بقلم : ابراهيم فيومي

كنت عائداً من سفارة المتحدة ببيروت ، بعد ان حصلت على سمة دخول للقاهرة ، ووسط الزحام ، شعرت بيد تمتد الى كتفي ، لتستوقفني ، فالتفت ورائي ، لارى شاباً يبتسم لي ، ويمد يده مصافحاً بحرارة ، فدهشت كل الدهشة ، لاني لا اعرف احدا في هذا البلد ، وبادرني سائلا : —

الا تعرفني يا استاذ ؟ انا محمد . . . محمد . . . الا تذكر اشقى الاحداث عندك في اصلاحيه عمان ؟ ؟ ؟

واعتصرت ذهني وانا ابحث وانقب في الشريط الطويل الذي اختزنته ، واخيراً

عثرت على هذا الشاب ، مختبئاً في احدى الزوايا ، ومعه قصه طريفة ، تقطر مرارة وآسى طوتها يد النسيان ، فنامت ، حتى جاء صاحبها وايقظها من جديد ، وبدأت اتذكر الحكاية من اولها . . .

كان ذلك منذ اربعة اعوام مضت ، وعملت لفترة في اصلاحية الاحداث بعمان ، وذات يوم ، كنت اجلس في صالة الاستقبال ، والجو شتاء ، والضباب يغطي العاصمة ، والامطار تنهمر بغزارة ، والشوارع خالية ، عندما قرع جرس الباب الخارجي ، فخف احد العمال لفتح الباب ، ودخل شرطي يمسك بيده صبياً مكبل اليدين ، وعلى وجهه بدت علامات النقمة على الناس . . كل الناس . .

وتسلمت الصبي ، ووقعت للشرطي على الكشف ، وغادر الدار تاركاً وراءه ذلك الغلام الذي جلس يرتعش من شدة البرد ، واسنانه تصطك ، وملابسه الرثة تتطاير ، كلما هبت الريح من خلال نافذة مفتوحة ، ولم البث ان تركت المكتب الذي اجلس خلفه ، ونقلت مدفأة كانت قريبة مني ، ووضعتها امامه ، ثم عدت من جديد ، لامسك بقلمي واسأله عن حالته كلها وبادرته سائلا :

مـا اسمـك ؟

فاجاب : اسمي محمد ، انك تريد ان تضربني وتعذبني ، اني خائف منك .

ونظرت من خلال ثوبه الممزق فرأيت آثار السياط التي الهبت جلده ، وعندها قلت :

لا تخف ، ساعطيك ثيابا جديدة ، وستأكل مع اقرانك من الصبية ، ولن يضربك احد هنا ، شريطة ان تقول الصدق .

وبادرني قائلا :

انا لا اصدق هذا ؟ ؟ فقد اعترفت بكل شيء ، ولكنهم ضربوني بشدة ، ولم انم طيلة ليلة امس ؟ ؟

فقلت له : لا تخف . . . قل لي عن قصتك بصدق .

وبعد هذا الجدال بدا وكأنه اقتنع بالكلام واخذ يقص قصته :

انا لاجيء من حيفا واسكن حالياً في مخيم جبل الحسين بعمان ، مات ابي في حرب فلسطين ، وامي اصابتها شظية في عينيها فاصبحت كفيفة ، ولم اترك المدرسة الا منذ شهر واحد

فقط . . ان اخي احمد يبلغ من العمر عشرين عاما ، وهو يلعب القمار ، ويشرب الخمر، ويعود كل ليلة بعد منتصف الليل ، امقته ، اكرهه ، لا اريد ان اراه ، لاخبروه انني هنا انه السبب في كل هذا . لقد عدت يوما من المدرسة ، فوجدته ينتظرني في البيت وما ان دخلت ، وحقيبتي في يدي ، حتى قال لي :

اين كنت يا محمد !

فقلت : انني عائد من المدرسة .. وعندها ، انتزع الحقيبة من يدي ، وقال بغضب : مدرسة ! ! اي مدرسة هذه ! ! هل ستكون طبيباً ام مهندساً ! ! لا مدرسة بعد اليوم ـ غداً عليك ان تشتغل كمثات الصبية الآخرين : : .

فقلت له : ولكني احب المدرسة ولا اريد تركها ...

وعاجلني بصفعة قوية القتني ارضا ، وشعرت بدوار شديد ، وبدأ الدم يتصبب من اسناني ، وبكيت يومها بحرارة ، لانني سأترك المدرسة التي احببتها من كل قلبي .

وفي صباح اليوم التالي استيقظت من نومي ، فوجدته واقفا ، وعيناه تتأججان شرراً وما لبثت يده ان امتدت الى جيبه ، فأخرج عشرة قروش ، واعطاها لي وقال :

عليك ان تذهب اليوم الى السوق ، وتشتري سلة وحبلا ، وعليك ان تسلمني كل مساء عشرين قرشا ، والا فلن تبيت في هذا البيت .

ماذا اقول لك ياسيدي : لقد بدأت العمل كحمال صغير ، وسط رجال اقوياء ، يطردونني كلما رأوني اقترب منهم ، فالجأ الى بعض المناطق الخالية من سوق الخضار ، فيشفق علي احد الناس وينادينني كي احمل له حاجاته .

وذات يوم استقدمني رجل مسن ، بدت عليه اثار النعمة . وحملت له ، وتبعته ، وكان بيته قريبا ؛ وما ان ولجت الى داره ، حتى اخرج محفظته ، واخذ يفتش فيها ، وما لبثت ان نظرت الى الارض ، حتى رأيت ورقة حمراء ، ذات الخمسة دنانير ، تسقط منه دون ان يشعر ، بينما هو يصعد درجات السلم ، ويدخل البيت ، يالله ... خمسة دنانير دفعة واحدة ! انني لن احصل على هذا المبلغ في شهر كامل ، وامتدت يدي الى الورقة النقدية وخبأتها في الحال ، ونقدني الرجل اجري ، وهرولت مسرعا الى الخارج ، ولكنني توقفت على بعد خطوات من الباب ، وبدأ الصراع يدور في اعماقي ؟ ! ! الامانة يامحمد . . . . انسيت حديث مدرس الدين عن الامانة ، ان الله سيعاقبك ... اعد الدنانير الخمسة الى

صاحبها.... ولكن هاتفا شيطانيا آخر انبرى يرد قائلا : اهرب . . .اهرب قبل ان يكتشف الرجل امر نقوده . . . . .

وفي الاخير ، تغلبت النزعة الثانية على الاولى ، فاسلمت ساقي للريح ، حتى ابتعدت عن منطقة البيت ، وكنت اثناء عدوي اتحسس الورقة النقدية ، وانا لا اصدق ان بائساً مثلي يملك مثل هذا المبلغ .

وفي احد الازقة المعتمة ، القيت بالسلة في احدى الزوايا ، ونظرت اليها نظرة اخيرة ، وانا اقول :

وداعاً ايتها السلة البائسة ، فلن اعود اليك ابداً ، لقد امتدت عيدانك المدببة الى ظهري ، فالهبته وخزاً ... ومضيت ادب في شوارع العاصمة ، والمطر يتساقط خفيفاً ، والشوارع كلها وحل ومياه ، وساقاي العاريتان يضرب لونهما الى الزرقة ... وبطني خاو من شدة الجوع . وفي الحال عرجت على مطعم ، فاكلت ، ونقدني الرجل بقية الدنانير الخمسة ، وبدأت اطوف شوارع العاصمة التي بدأت تتأهب للنوم ، حيث هجم الليل . . وما لبثت ان ذهبت الى سوق الخضار ، وبين اكداس من الصناديق الفارغة ، القيت بنفسي حتى الصباح ، اذ عدت الى التسكع من جديد ، وظل هذا حالي حتى نفذت النقود ، فعدت الى البيت ، فوجدت امي قابعة في ركن كوخنا الصغير ، وما ان اقتربت منها ، وسمعت صوتي ، حتى امتدت يداها تتحسسان وجهي ، وتنهالان علي تقبيلا ، وهي تمسح الدموع وتقول : اين كنت يا ولدي ، لقد ظننتك مت ، ان اخاك لم يأت بعد ، وارجو أن يهديه الله فلا يعود الى سيرته الاولى .

وما ان انتصف الليل حتى فتح الباب بشدة ، ودخل اخي ، ثملا مخموراً ، يترنح ، ولم ينبس بنبت شفه ، والقى بنفسه في ركن الكوخ ، وما لبث ان تعالى شخيره ...وحمدت الله انه لم يعرفني ، وما ان انبلج الصبح حتى صحا من نومه ، ونظر حوله فرآني ، وعندها حملق في ، وجحظت عيناه وهو يقول :

واخيراً عدت . . اين كنت طيلة هذه المدة ، هات النقود بسرعة ، والا فانت تعرف العقاب : :

قلت : انني لا املك الا خمسة قروش ، ولا املك غيرها ؟ ؟

عندها تميز غضبا ، وانتفض واقفا ، وانقض علي كعصفور صغير سطا عليه

نسر جارح ، وبدأت اصرخ ، واولول ، ووالدتي تتوسل اليه ان يتركني ، ولكن دون جدوى ، فقد اشبعني صفعاً ، ولكماً ، وعضاً ، وفي الاخير تركني ممزق الثياب ، ابكي وانتحب – ولحظتها – قمت ، وجررت ساقي ، وغادرت البيت ، واقسمت الا اعود الى اخي الذي اشعر برعب كلما خطرت صورته على ذهني .

وفي المدينة تهت وسط الزحام ، وفي المساء بدأت اتصعلك ، فاسير من شارع الى شارع ، حتى انتهيت اخيرا الى ركن منزو جلس فيه اربعة صبية ، بدت عليهم علامات الشقاء ، فاقتربت منهم وجلا ، ولكنهم استقدموني ، وجلست معهم ، فامتدت يد احدهم في الحال الى جيبه ، فاخرج علبة معدنية صدئة ، وفتحها ، واعطاني لفافة فاخذتها ، وشاركتهم جلستهم ، وانسجمت معهم ، لان لكل منهم حالة نفسيه ، اشبه ما تكون بحالتي

وقد عرضوا عليّ ان اكون واحداً منهم ، ورضيت بكل ما قالوه لي ، وفضلت ذلك على العودة الى البيت .

كانت الخطة ان يذهب كل اثنين الى دكان فيطلب واحد احدى الحاجيات البعيدة ، واثناء قيام الرجل باحضارها ، يقوم واحد بسرقة اقرب شيء اليه ، ثم نهرب ونبيع ما سرقناه ، ونتقاسمه ، وظلت الامور تسير على هذا الحال ، حتى كان يوم امس ، عندما ذهبنا الى احد الحوانيت وطلبنا الى الرجل ان يحضر لنا علبة لحم محفوظة ، فصعد الرجل سلما صغيرا في الدكان ، ليحضر ما طلبنا ، وعندها امتدت يدي الى احدى لعب الاطفال ، وحملتها ، وفي هذه اللحظة نظر الرجل ، فوجدني اهم بالفرار ، فهرول مسرعا ، ولحق بي خارج الدكان – وكان زميلي قد هرب – فاخذت اركض بسرعة جنونية واللعبة تحت ابطي ، والرجل ينادي باعلى صوته ، ان يمسك بي المارة ، وما لبث احد المارة ان شدني من الخلف ، فاوقفني ، وتجمع الناس ، وتآجروا في صفعي ، حتى وصل الرجل ، فاقتادني الى قسم البوليس ، وفي صباح هذا اليوم اقتادوني اليك ... هذه قصتي يا سيدي ، ارجوك الا تخبر اخي ، فأنا اكرهه ... اكرهه . وانهى الصغير حديثه ، فأمرت له بملابس جديدة ... وبدأ منذ صباح اليوم التالى يتلقى دروساً في النجارة ، واستمر لمدة سنتين في الدار ، غادرها بعد ان وعد بالتوبة ، وشق طريقه في الحياة ، دونما سرقة او تشرد .

ومرت الايام ، ولم ادر عن مصير هذا البائس شيئاً ، حتى قابلته صدفة في شوارع بيروت ، وصمم على اصطحابي الى احد المقاهي ، وحدثني عن مهنته كنجار ناجح ، واب يحرص كل الحرص ، الا يتشرد ابناؤه كما تشرد .

وبعد ساعة قمت ، ومددت يدي الى الرجل اودعه بحرارة ، وفي نفسي موجة من السرور والغبطة . فقد تحول محمد من جائع مشرّد الى عضو بنّاء فعّال .

حماة الديار

التحصينات العسكرية في العصور الحديدية في الأردن

من ١٣٠٠ — ٦٠٠ ق.م.

بقلم :- فيوقي وفاء الدجاني

تذكر التوراة في سفر الخروج بان هذه البلاد، واخص منها الضفة الشرقية من الاردن، كانت في هذه الفترة ذات ممالك قرية محصنة حدودها ومدنها بالقلاع والحصون والاسوار المنيعة . ومن اهم الاسباب لاقامة الحصون والقلاع على اطراف هـذه الممالك وخاصة من الشرق وقوع بادية الشام للشرق منها وبادية الشام اذا رجعنا للتاريخ نجد انهـا كانت خزانا بشريا تتدفق منها القبائل المهاجرة وتغير على اطراف الهلال الخصيب بين الحين والآخـر وخاصة ايام الجدب والقحط طلبا للماء والمرعى والقوت . وتقسم التحصينات العسكرية في هذه البلاد الى نوعين : —

١ — قلاع وحصون حدود هذه الممالك وهي ادوم وموآب وعمون .

٢ — تحصين المدن الكبيرة مثل ربة عمون (عمان) ، ذيبان ، الكـرك ، الرميل ، صليه ، وغيرها من المدن القديمة المعروفة زمن التوراة .

١ - القلاع وحصون الحدود :

كانت هذه الحصون عادة ، وكما نرى اثارها اليوم ، تقام على مـرتفع من الارض وعلى مرأى من بعضها بعضاً حتى اذا ما داهم احداها العـدو ارسلت اشارات النجدة والتحذير الى بعضها بعضاً بواسطة اشعال النيران او ارسال الصوت او بواسطة العـدائين وكثيرا ما نجد بالقرب من هذه القلاع والحصون ينابيع مـاء او آبار حفـرت او كهوف استعملت داخل هذه الحصون كخزانات للمياه لتفي بحاجات المحاصرين من مياه الشرب .

وكانت هذه الحصون على نوعين :

١ - حصون مربعة البناء

حصن من حصون قلاع الحدود المربعة الشكل

٢ - حصون ملفوفة ،

النوع الاول من هذه الحصون كانت مربعة الشكل او مستطيلة بنيت من حجـارة ضخمة خامية سمك حيطانها بين المترين او المتر والنصف . وعادة كانت هذه الحصون

حصن الملفوف المستديرة قرب عمان

تحاط باسوار منيعة تبنى على اعلى المنحدرات في المرتفع تحيط ببعضها خنادق حفـرت في اسفلها لتعيق المهاجمين من الوصول الى الاسوار مباشرة . وكان لاسوار هـذه الحصون ابراج عند زواياها . وعلى جانبي مداخل ابوابها ابراج اما مستديرة او نصف دائرية كما نرى ذلك اليوم في اسوار قصر المشتى والخرانه ويظهر ان هذا الطراز من الابراج والتحصينات استمرّ استعماله ولكن ببعض التغييرات في العصور التي تلت العصور الحديدية . واهم اثار هذه الحصون اليوم في الاردن هي (رجم بشاش) و (رجم طويل افجيج) ورجم (الهلا) و (الجهيرة) (والدعجنية) و (ابو العظام) ومغامس والقوصة الحمرا ونقب العكّوزة و (رجم خشم السيرة) وقصر ناصر والمهيري وميدبي وقصر ابو الخرق ورجم ناصر ومديّنه وصليّة ورجم علية والطليسة والثوانة وزباير القسطل وغيرها وكلها على حدود ممالك ادوم وموآب وعمون القديمة . تقع على مرتفع من الارض تشرف على سهول خصبة ، بالقرب من ينابيع عذبة او بها آبار او كهوف لجمع المياه . وتقع في مكان استراتيجي هام لحماية اطراف الدولة او طرق القوافل او السهول الزراعية .

اما رجوم الملفوف فهي ابراج وحصون خاصة بمملكة عمون وجنوبي جلعاد (عجلون) وسميت بهذا الاسم نسبة لاستدارتها فهي قد بنيت على شكل دائري بحجارة ضخمة ورخامية من الصوان او الحجر المزي الصلب ، ولم يعثر علماء الاثار للآن على ابواب لهذه الحصون واهم هذه الحصون هي رجم الملفوف الغربي في جبل عمان والشميساني والكرسي وقصر خلـده والسوبنا وطالبين والوصية واللويبدة وكم ياجوز وام الرجوم وقطنه ورجم الحانوتية وعبدن والرصيفة وغيرها وفي بعض هذه الحصون اسوار تحمي سطحها بيوت السكان وكلها من النمط المعروف بالاثار تحت اسم (Mageethic) ويرجع اقـدم تاريخ لها القرن ١٣ ق.م . وكانت هذه الحصون حصوناً استطلاعية لربة عمون عاصمة العمونيين وكلها على مرتفعات من الارض وعلى مرأى من بعضها بعضاً وفي حالة الخطر ترسل اشارات الخطر الى بعضها بعضاً فتتخذ العاصمة ترتيبات الحصار . وكانت ربة عمون تقع على جبل القلعة وقد اقيمت الاسوار الرومانية في جبل القلعة وقد وصف مكنزى ونلسون جلوك هذه الحصون وصفا دقيقا في كتبهم .

المدن الكبيرة :ـ اما المدن الكبيرة مثل ربة عمون وخربة مربط بدران وذيبان والكرك والربل وغيرها فعدا عن موقعها المحصن طبيعيا حيث تقع على مرتفع كبير تحيط بها الوديان من جميع جهاتها في اغلب الاحيان ، فان هذه المدن كانت تحصن بالاسوار المنيعة وسمك جدرانها لا يقل عن المترين وكانت الاسوار تقام على اعلى المنحدرات في المرتفع وكل مدينة كان لها سوران ، سور خارجي وسور داخلي . فالسور الخارجي كان يحاط من الخارج بحائط مائل من الحجارة او الطين المضروب تنتهي في اسفله بخندق حفر من الصخـر او الارض (Glacis) لمنع اقتراب المهاجمين من الرجالة او العربات الحربية او المنجنيقات او عربات النطح (دبابة تلك العصور) من الاقتراب من الاسوار وهدمها او تلفها . وكان بين السور الداخلي والسور الخارجي خندق آخر يمتلىء ايام الامطار بالمياه فيشكل تحصينا طبيعيا زيادة في التحصينات . وتتخلل هذه الاسوار ابراج مرتفعة في زواياها وفي وسطها ويحيط بكل بوابة عادة برجان على جانبيها للدفاع عند مهاجمة الباب . اما مداخل هذه الاسوار فكانت عادة من بابين اثنين او ثلاثة او اربعة . ومن الامثلة على ذلك بوابات مدينة شكيم في بلاطة قرب نابلس وتل النصبة وتل الخليفة (قرب العقبة) وغيرها تشبه بوابات مـدن اثرية في فلسطين امثال مجدو في فلسطين المحتلة وتل الدوير . كما عثر على امثالها في سوريا في مدينة زنجرلي (قرقش) الاثرية وغيرها .

والاسوار كانت على نوعين ، النوع الاول كما ذكرنا سابقا يتألف من حائط سميك ومتين البناء تتخلله ابراج محصّنة ، النوع الثاني ويسمى Casemate ويتألف من حائطين متوازيين ومتقاربين على مترين او ثلاثة من بعضهما ويقاطعهما على مسافات متقاربة حيطان اخرى . وكان الفراغ بينهما يُملأ بالحجارة والطمم . فاذا ما نقب او هدم شيء من السور الخارجي كان الطمم يحمي السور الداخلي ويعيق المهاجمين . وقد عثر على امثال هذا النوع من الاسوار في تل السعدية في غور الاردن وفي خربة البالوعة قرب الكرك وفي تل الرميث قرب الرمثا وغيرها . وكانت بيوت السكن في مثل هذه المدن تبنى ملاصقة لواجهة السور الداخلي تشرف على طريق دائري داخل المدينة وفي وسط المدينة ساحة في وسطها الحصن او القلعة او القلاع حيث يحتمي فيها السكان والحاكم عند الهجوم على المدينة واهم المدن الأثرية التي تشابه هذا الوصف حالياً هي خربة الرميل التي تقع على وادي الرميل المتصل باعالي وادي الموجب وهي من اهم المدن الأثرية التي لا تزال تحفظ طابعها الأثرى كاملا وهي تقع للغرب من قصر ضبي . وموقعها محصن طبيعيا بالوديان من جميع جهاتها . تحيط بها اسوار منيعة واحد من الخارج والاخر على بعد منه من الداخل وبينهما خندق كان في زمن الشتاء يمتلىء بمياه الامطار فيكوّن تحصينا طبيعيا آخر بين الواديين وكانت بيوت الكن عادة تبنى ملاصقة للسور الداخلي من الداخل وتمتد طريق على شكل دائرة داخل المدينة تطل عليها هذه البيوت . وسمك السور ٢ر١٠ متر وهو مقام على الصخر ومبني من الحجارة الضخمة الخامية . ويمتد السور الخارجي عادة على حافة المنحدرات التي تحيط بالموقع ويحيط في السور من الخارج خندق اخر في اسفله قطع في الصخر وتتجمع فيه الامطار في الشتاء فيشكل تحصينا آخر . اما البوابة فكان يحيط بها برجان عاليان وهي تتألف من مدخلين الاول مواجه والثاني جانبي متصل بالاول ، كما نرى في مدخل بوابة باب العامود في القدس . وحصن المدينة في وسطها ، وفيه كانت القيادة ومقر الحاكم وبالقرب او في قلب هذه الحصون حفرت الابار داخل المدينة لتفي بحاجة السكان من مياه الشرب عند الحصار الذي هو اهم مشاكل الدفاع عن المدينة ومساحة حصن المدينة ١٩×١٥ مترا مربعا وسمك جدرانه متر ونصف وهو مبني من الحجارة الخامية الضخمه .

الدفاع والهجوم : الدفاع عن هذه المدينة كان بواسطة الحصار والاعتصام بالقلاع والاسوار وقذف المهاجمين بالسهام والحجارة وعدم تمكين الاعداء من الوصول الى الاسوار او البوابات . ولذلك فكثيرا ما ارتدت الجيوش المحاربة عن اسوار هذه المدن المنيعة كما حدث

لمدينة ذيبان عاصمة ميشع عندما حاصرتها قوات الاعداء من مملكة ادوم وحلفائها سنة ٨٥٠ ق . م كما تذكرها التوراة في سفر الملوك .

اما وسائل الهجوم على هذه المدن والقلاع فكان بواسطة الحصار الطويل وقذف المحاصرين بالنبال والحجارة او بثقب الاسوار ونطح الابواب بواسطة دبابات النطح الخشبية كالتي استعملها الهكسوس سابقا او بواسطة تسلق الاسوار والاستيلاء على الابواب او الدخول من مسارب المياه السرية كما حدث لربة عمون عندما استولى عليها جواب قائد داود او الاستيلاء على مدينة اورشليم اليبوسيه وكان الاستيلاء عليها بنفس الطريقة التي فتحت بها ربة عمون وكان نفاذ المياه والذخيرة في المدن المحصنة بنتيجة الحصار الطويل سبباً من اسباب استسلام هذه المدن وكثيرا ما كان المحاصرون يفتحون الابواب وينقضون على الأعداء ويأخذونهم على حين غرة فيرتدون عن حصار المدينة وكثيرا ما كانت احلاف هذه المدينة المحاصرة من المدن المجاورة تسرع لنجدتهم فتطرد المحاصرين عنها وتشترك معهم في قتال مرير يفرج الكرب عن اهالي المدينة .

السلاح : كان سلاح المهاجمين او المدافعين . السهام الحجرية والمعدنية التي يرسلونها نحو الاعداء بواسطة القوس وقد عثرنا في حفرياتنا الأثرية على كثير من امثالها وهي ذات طرفين حادين وراس رفيع اما الرماح والحراب فكانت على نوعين اما مفلطحة على شكل ورق النبات ذات طرف مجوف توضع فيه الهراوات والعصى الطويلة . والخناجر في العصور الحديدية تختلف عن ساقها في العصور البرونزية وهي ذات حدين وطرف رفيع يدخل في مسك او يد من العظم او الخشب او العاج بينما كانت في العصور البرونزية تثبت في اليد بواسطة مسامير . وكانت الخناجر شائعة الاستعمال لكل الافراد بعكس السيوف فانها كانت قليلة . وقد تكون شائعة مثل الخناجر ولكننا لم نعثر في حفرياتنا الأثرية الا على القليل منها ويرجع السبب في ذلك الى تآكلها وتلفها بفعل الصدأ والتأكسد . واهم ما عثرنا عليه من هذه السيوف سيف عثر عليه الدكتور برتشارد استاذ الآثار في جامعة بنسلفانيا الذي حفر في تل السعدية في الغور فقد وجد هذا السيف مطليا بالزفت والقطران مع جثة صاحبه مما حفظه بصورة سليمة من التأكسد . والسيف طويل له حدان ومقبض . وزيادة عن هذه الاسلحة المعدنية فقد كانت الحجارة وسيلة من وسائل السلاح وبقيت السهام وروؤس الحراب الصوانية التي كانت تستعمل في العصور البرونزية

ظلت تستعمل في هذا العصر جنبا الى جنب مع الادوات المعدنية وقد كانت تستعمل الحجارة في المقاليع حيث تفيدنا التوراة عن مقتل جوليات في وقعة جبل جلبوع سنة ١١٠٠ ق.م من قبل داود .اما استعمال الخيل فلدينا مصادر التوراة في استعمال الخيل في الحرب وخاصة في وقعة (قرقر) بين شلمناصر الثالث ملك اشور سنة ٨٥٣ ق.م وبين ملك دمشق وحلفائه من ملوك صور وصيدا وحماة والملك احاب . اما الناحية الاثرية فلدينا من البينات الاثرية من رسوم وتماثيل رؤوس للحصان في كثير من المواقع فقد عثرنا عليها في جبل القلعة وفي تل السعدية ودير علا والمقابلين وقبور عمان وكلها ترمز الى استعمال الحصان في ذلك العهد . وعدا عن الحصان فقد استعمل الجمل وهو مطية الصحراء وقد عثر على عظام الجمل في كثير من المواقع مثل تل الخليفة في العقبة كما عثر على رسم الجمل على الحجارة وغيرها مما يدل على استعماله في ذلك العهد وكان استعماله اكثر شيوعا من الحصان .

اما استعمال الدروع والخوذ الحديدية او النحاسية فلدينا بينات من التوراة عنها وقلما عثر على الكثير منها في حفرية ومن المعتقد (انها كانت شائعة الاستعمال) ولكنها تلفت بفعل التاكسد والصدا .

يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات

قرآن كريم

من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن ارادهما معاً ، فعليه بالعلم .

حديث شريف

نداء الواجب

الرئيس : عمر عيسى صواي

اعلان هام ..... عموم ضباط وافراد القوات المسلحة ، المجازين عودوا الى وحداتكم حالا ، وبدون تأخير ....

هذا ما سمعته عدة مرات متتالية وانا استمع الى جهاز الراديو متتبعا الأنباء التي افادت قبل قليل بقيام العدو بتحرشات على الحدود ، فقمت على عجل ، وطلبت من زوجتي ان تجهز ملابسي حالا ، ففعلت ، وارتديتها ، بينما بادرتني قائلة .

« ان اجازتك لم تنته بعد ، ولم يمض منها سوى يومين ، ولقد بقي منها تسعة عشر يوما كما قلت ، فلا تذهب » .

قلت لها :

« انه نداء الواجب ، نداء الوطن ، نداء الجيش الى ابنائه ، فكيف لا ألبي النداء وقد نذرت نفسي واقسمت بأن اخدم وطني بكل امانة واخلاص » .

قالت ـ

« قل لهم بانك لم تسمع نداءهم ابدا .. ، اخبرهم بانك لم تستمع الى الراديو فكثر في اي شيء آخر ، وارجوك ان لا تذهب ، لاتترك اولادك الذين لم يشاهدوك من مدة طويلة ، فلا تحرمهم من فرحتهم برؤيتك .. ارجوك ... اتوسل اليك ، سيعودون بعد ساعة من المدرسة ، فانتظرهم على الاقل » .

فقلت لها :

انني لم اكن انتظر منك هذا ، بل توقعت بانك ستكونين اول من تحث صديقاتها على التطوع والتدريب العسكري واعمال الدفاع المدني ، وان تكوني سباقة الى الأعمال الوطنية ويتردد صوتك في اذني عاليا بان الموت للأعداء ... أتطلبين مني ان اتخاذل عن اداء واجبي وان لا ادفع ضريبة الدم واذود عن حياض الوطن ؟

ان الوطن الآن بحاجة الي واليك والى كل ابنائه فأفسحي الطريق ودعيني اخرج وان الشجاعة والجلد لهما خير من بكائك هذا .... »

فقالت وهي تمسح دموعها :ـ

ـ نعم فهذا حق لولم اكن ام اولاد

وربة بيت، كما وان هنـــالك من يدافع عن الوطن غـــيرنا فلنهتم بشؤوننا وكفى ... وامسكت بذراعي فدفعتها وانا اصرخ في وجهها: — اغربي من هنا ايتها الجبانة، مافائدة البيت ان ذهب الوطـــن؟ تصوري اولادك وهم يرزحون تحت حكم العدو اللئيم الذي لايرحم. اولا تعلمـــين بانه سيفتـــك بنا ويستبيح المقدسات ويعبث بالمقدرات دون وازع اوضمير .... انه سيقتل اولادك امامك دون شفقة او رحمة، وما الفائدة من حياة كهذه؟ اوليس الموت في ساحة الشرف والاستشهاد افضل من ذلك؟ ثم اننا سنقاتل لاسترداد حتى من حقوقنا او نقضي دونه.

لم ادر كم من الوقت مضى، ولكن في تلك اللحظة دخل الأولاد يتقدمهم اكبرهم وما ان علم بالأمر واستطلع حقيقته، حتى هتف باعلى صوته (عاش الوطن والموت للأعداء) واستطرد قائلا.. اذهـب ولا تتأخـر وانني لمستعد للذهاب معـــك. لقد انصرفنا من المدرسة بعد ان علمنا ان الحرب قد اعلنت ورأيت الجنـــود يركبـــون سياراتهـــم ويعودون مسرعين الى مراكزهم فأرجوك ان لاتتأخر فان الوطن يناديك فلبِ نداءه واسرع »

فودعتهـــم بنظرة خاطفـــة وادرت ظهري لأخفي دمعة الفرح تسقط على خدي وسمعت صوت ولدي يردد نشيده المحبوب والذي طالما اسمعني اياه قائلا :—

(انا الأول في المحفوظات)

سأحمل روحي على راحتي

والقي بها في مهاوي الردى

فأما حياة تسر الصديـــق

واما ممات يغـــيظ العـــدى

واخذ الصوت يخفت كلما ابتعدت.. الى ان اختفى .....

وصلت الى مركز عملي باسرع مـــا يمكن، فوجدتهم على اهبة الاستعداد ولم يتأخر احد من المجازين بـــل عاد الجميع. وهنا اكبرت فيهم هذه الروح العالية وتحركنا الى مواقعنا امام العدو، وحمي وطيس المعركة واشتعلت نـــار الحرب وأخذنا نحصدهم حصداً بنيران اسلحتنـــا، وتجلّت العزائم الحديدية، والمعنويات العالية في النفوس المؤمنة بعدالة القضية، واستبسل الجميع، ومر يوم آخر، ونحن مازلنا نذيق العدو الموت الزؤام ونصليه نارا حامية، وجاءت افواج المتطوعين لنيـــل شرف الاشتراك بالواجب المقدس. وذات يـــوم وبينما كنت اوزع القادمين على مراكزهم فأذ بي اشاهد ابني بينهم بكامل معداته وكله همة ونشاط، وكم كانت فرحتي عظيمة، وسألته عن اهل الدار فقال :—

« لقـــد برت والدتي بوعدها حين خرجت، اذ اقسمت ان لاتتوانى عن خدمة بلدها، وتطوعت في الدفاع المدني، وارسلني

الى المكان الذي يجب ان يكون جميع ابناء الوطن فيه يوم الثأر.

وهذه قصتنا....

في كل يوم يمر نلقن الاعداء اقسى الدروس، فتخور قواه، وتنهار حصونه الى ان اعلن الاستسلام، ورفعنا رايات النصر عالية خفاقة وعادت الديار الى اهلها.

عدت الى البيت في اجازة وعلمت ان ابني في الفراش نائم، فدخلت، وسألته عن حاله، فقال بأنه نقل الى المستشفى وبقي مدة بسيطة، عاد بعدها الى البيت، حاملا ارفع وسام، وكشف عن صدره، فاذا بي ارى آثار طلقة. فحمدت الله على سلامته، وجلسنا جميعاً نتحدث عندما قالت زوجتي مازحة لن نفتح الراديو الى ان تنهتي اجازتك... : .. وضحك الجميع.

وخير جليس في الأنام كتاب.

طلب العـــلم فريضة.

حديث شريف

« لا يوجد هناك جيش لا يقهر – بل هناك امة لا تقهر »

مقومات الحرب الشعبية

قد يخطر على بال الكثيرين عند سماعهم انباء القتال العنيف والمعارك الدامية التي تدور في بقاع متعددة من العالم : في فيتنام، والكونغو ، والجنوب العربي، وغيرها من البلاد . اقول انه قد يخطر على بال هؤلاء ان هذا النوع من القتال ما هو الا حركات تمرد وعصيان، تقوم بها جماعة من المتمردين، همهم خلق حالة من الفوضى والاضطراب في بلد يسوده الهدوء ، ويخيم على ربوعه الاستقرار . ولكن هذا المفهوم يناقض تماما حقيقة هذه المعارك ، التي لا تخلو نشرة اخبار او صحيفة من انبائها ، والتي اصبحت بنتائجها وتطوراتها واحداثها وما تعكسه على السياسة الدولية من معانٍ ، مادة غزيرة للحديث والنشر .

فلو وقفنا وقفة بسيطة ، وحاولنا فهم ماهيّة هذه الحرب ، وبحثنا في ابعادها العسكرية والسياسية على السواء – غير متأثرين بدعاية هذا المعسكر او ذاك – لوجدنا انها

حرب تحررية من جهة ، وحرب مصالح عسكرية واقتصادية من جهة اخرى . وهي – وان اختلفت ميادينها – فانها متشابهة في اسبابها وظروفها واحداثها وتطوراتها ، وحتى في نتائجها ، في كل البلاد التي اصطلت بنارها ، واكتوت بويلاتها . ومن هنا ندرك ايضا انها حرب تدور بين فريقين يحاول فيها الاول فرض سيطرته وحمايته على بلد الآخر ، بينما يحاول اصحاب هذا البلد – وهم الفريق الآخر – جاهدين انتزاع حقهم الطبيعي في الحرية والاستقلال ، من فوهات بنادق ومدافع الفريق الاول ، ولهذا فانها تعتبر في نظر اصحاب البلاد حربا وطنية ثورية ، بينما لا يتعدى كونها حرب حماية الاستقرار والدفاع عن الهدوء في نظر الآخرين .

ولما كانت اساليب الحرب النظامية معروفة لكل منا ، فانني سأتركها لابحث في الموضوع الاساسي الذي احاول ان اقدمه ، وهو اسلوب اصحاب البلاد في القتال على ارض وطنهم او ما يسمى « الحرب الشعبية » .

تعريفها .

لقد اختلفت الآراء حول تعريف هذا النوع من الحرب . فمنهم من قال انها حرب فرصة ولصوصية لا تمت الى مبادىء الفروسية الشريفة بصلة ، وتبتعد عن قواعد القتال كل البعد .

بينما اعتبرها آخرون نموذجا آخر للقتال ، يزداد عنفاً وحركة ، ويختلف اسلوبا وتنظيما عن الحرب النظامية .

اما انا فانني اعرفها « بأنها حرب وطنية تحررية يفرضها اصحاب البلاد على مستعمريهم ليخلقوا لهم اجواء واوضاع لن يستطيعوا العيش معها او فيها ، معتمدين في قتالهم هذا على تشكيلات مقاتلة مؤلفة من مفارز صغيرة مسلحة باسلحة خفيفة ، تضرب حيث لم يكن متوقعاً ضرباتها ، تمتاز بخفة الحركة ، وسرعة العمل ، ميدان عملها الاجنحة المكشوفة للعدو وخطوط مواصلاته الطويلة . وتزداد هذه الضربات شدة وايلاما بازدياد كراهيتهم لنوع نظام الحكم المفروض عليهم ، وتمتاز هذه القوى بروح عالية من الانضباط الشديد ، والطاعة العمياء ، ويتمتع افرادها بوعي وطني يكون في حقيقته القوة الدافعة والمحركة لقتالهم » .

نتائجها .

ان الامثلة الحية التي تقودنا الى نتائج هـذه الحرب كثيرة ومتعددة ، واقربها الينا ما لمسناه وقرأناه ، وما سمعنا عنه في الجزائر وليبيا وشبه الجزيرة العربية ، وروديسيا وماليزيا وغيرها ، اذ ان النتائج المترتبة عليها قد جاءت محققة لآمال اصحاب البلاد الذين فرضوها فرضا على مستعمريهم ، فليست نتيجة حرب الجزائر التحررية ضد الفرنسيين ، ولا نضال الشعب الليبي ضد الايطاليين ، ولا النصر الكبير الذي حققته الثورة العربية الكبرى ببعيدة عن اسماعنا واذهاننا، وان صحّ التعبير فانني اعتبر الحرب التحررية التي قادها المغفور له الحسين بن علي خير مثال استطيع ان اقدمه للتأكيد بانه لا يوجد جيش لا يقهر ، بل هناك امة لا تقهر .

لقد استطاعت قوى الثورة العربية الكبرى بعددها القليل ، وعددها البسيطة ، وتجنبها الدخول في معارك فاصلة ان تكبد الجيش التركي الجرار ، المعـتز بعدده وعدده ، خسائر بلغت في سنتين فقط «خمسة وثلاثين الف جندي» ، الامر الذي جعل بقاءهم في الديار العربية مستحيلا . وهكذا فقد جاءت نتائج هذه الثورة ، واتبـاع اسلوب حرب الانصار مذهلة للعدو الذي استهان بها في بـاديء الامر ، وطبيعية بالنسبة لاصحاب البـلاد الذين لم يكونوا ليرتضوا نتيجة سواهـا .

وثمة مثل حي آخر يمكن ان يكون كغيره نموذجا لتلك الحرب التي اسميناها « الحرب الشعبية » . تلك هي الحرب الشعبية اليوغسلافية ، التي جاءت نتيجة احتلال دول المحـور للاراضي اليوغسلافية . فلم يئن الشعب اليوغسلافي انهيار الجيش النظامي امام قوات المحور عن مواصلة النضال والكفاح ضد الرحيل ، بل تقبلوا الحرب على ارضهم ، وفرضوها فرضا على اعدائهم . واثبتوا حقيقة يجب ان تدركها جميع الشعوب هي « انه يجب ان يقف الشعب بكل طاقاته وامكانياته من وراء الجيش النظامي . حتى اذا ما انهزم الجيش واستسلمت الحكومة، تكون الامة مستعدة للقتال على ارضها مستخدمة اسلوب الحرب الشعبية » .

وسرعان ما تحولت كل طاقات الشعب اليوغسلافي الى قوى تحارب الاعداء متنقلة بين جبالها وسهولها ، مستخدمة مدنها وقراها ، معتمدة على ما يقدم الشعب لهذه القوى من ماء وغذاء ، معطية الحرب الشعبية صنعة استراتيجية تكمن في خفة الحركة وسرعة العمل .

ومن هنا اخلص الى القول ان الامة التي تحرص على استقلالهـا وحريتها وكرامتها لا تكتفي بتدريب جيشها على الحرب النظامية ، بل يجب ان تدرب شعبها كذلك على الحرب الشعبية . فتكون بذلك قد هيأت قوّتين تستخدم الاولى منهما عندما يتكافأ الطرفان ، وتستخدم الثانية حينما تندفع قوات العدو محطمة الجيش النظامي . ولن يطول هذا الاندفاع او يمتد ، اذا ما تابع الجيش والشعب نضالهما . بل بالعكس ، فانه سيضعف ويطول امره كما قال كلاوفتيز « ان ضعف الهجوم كامن في اطالة أمده » .

كما ان المقاومة الشعبية التي استخدمها الروس ضد الذين حاولوا الاستيلاء على ارضهم ليست بعيدة عنا . فقد كانت خطة هذه المقاومة موضوعة سلفا قبـل قيام القوات الالمانية بالهجوم . ومما زاد في فعاليتها دقة التنفيذ في الوقت والمكان المناسبين . فقـد حُلّت معظم الفرق الروسية ، وتحول جميع افرادها الى مدنيين في شكلهم ولباسهم ، عسكريين محترفين في حقيقتهم وعملهم . وتوزع هؤلاء بين المواطنين في القرى والمدن . واستطاعوا ان يوجهوا بأبي افراد الشعب لحرمان الجيش الغازي الماء والطعام والجو الهادىء . وتمكنوا من اذكـاء روح الحقد والكراهية في نفوس المواطنين مما سهل عليهم قيـادة هؤلاء في عمليات حربية استهدفت خطوط مواصلات الجيش الالمـاني واجنحته المكشوفة ووحـداته المعزولة . فزعزعت ثقة هـذا الجيش بنفسه ، وبالتـالي فقـد افراده وضباطه ثقتهـم بالنصر ، فانهارت المعنويات ، وحلت الروح الانهزامية محل روح التعدى . وتحولت انظار القادة عن مواصلة التقدم الى العوده بارواحهم وبجنودهم . وهكذا حققت المقاومة الشعبية الروسية النتائج الحتمية التي كانوا قد خططوا لها .

ولهذا فان نظرية قبول الحرب على ارض الوطن يجب ان ترسم خطتها وتسن قوانينها قبل واثناء اندلاع الحرب العادية . وفي مثل هذه الحالة يجب ان يكون الشعب مهيئاً — كما رأينا — لمثل هذا الحرب التي تعتمد كأساس لاستراتيجيتها على « السرعة والحركة » .

الخلاصـة : —

ولكي تكون عمليات الحرب الشعبية ناجحة . يجب ان تهدف استراتجيتها الى تدمير

العدو لا رده او دحره فقط .

وحتى تنجح هذه العمليات يجب ان تستند الى المبادىء التالية :-

١ - إن الانضباط والطاعة العمياء هي التي تؤدي حتما الى النجاح .

٢ - تجنب الاشتباك في جهات محدودة ، وفي معارك حاسمة .

٣ - الاعتماد على الحركة والمناورة السريعة .

٤ - يجب ان تعتمد الحرب الشعبية على المؤخرات الخفيفة الحركة ، البسيطة التأليف .

٥ - حشد القوة وتوجيه الضربة باتجاه واحد .

٦ - رفض مبدأ الدفاع الثابت .

وبالتالي . . . .

فان الروح الوطنية هي التي تذكي روح القتال ،

وتدفع بالنفس البشرية الى التضحية من أجل هدف لايسمو عليه هدف ،

وهو « تحرير الوطن » .

لا يوجد جيش لا يقهر ، بل هنالك امة لا تقهر

ان ضعف الهجوم كامن في اطالة امده

من مدرسة الجندية

الجود بالنفس

بقلم

الملازم : علي عبده الزعبي

اذا تحدثنا عن كرم انسان ، نسبناه الى حاتم الطائي ، صاحب الخوارق في الكرم ، الذي ذبح فرسه وقدمها قرى لضيفه ، غداة ضاقت به الحال ، وقعد به النقر . والفرس عدة العربي وعتاده في بيدائه ، وقد عزوا للعرب احتفالهم في مناسبتين : اذا ولدت فرس ، واذا نبغ شاعر . وهاتان مناسبتان لهما اتصال وثيق بحياة العربي ، ومما يدل على مكانة الفرس في نفوسهم قول الشاعر لاحدهم اذ اراد ان يشتري منه فرسه :

ابيت اللعن ان سكاب علق ... ثمين لا يعار ولا يباع

مفداة مكرمة علينا ... يجاع لها العيال ولا تجاع

ولنعد الى حاتم وكرمه . فمما يروى عنه انه كان يهيب بكل رقيق لديه ان يستوقد نارا في اعلى الجبل ، فيراها المدلج فيؤمها فيأتي به ديوان حاتم ، وفي مقابل ذلك يعتق حاتم العبد حتى لم يبق لديه رقيق .

لقد قصدت من هذا العرض الموجز لبعض الحوادث في حياة هذا العربي الكريم ان ابين ، استنادا الى ما روي عنه ، بعض فضله فقيل : كرم فلان حاتمي فقد حفظ له التاريخ حسن الاحدوثة ، فاضحى مضرب المثل . . .

والجندي حري بأن ينسب اليه كل كريم وحقيق ان يعزى الى جوده كل جود بشري وحسبه انه :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

صدق وايم الله الشاعر

فلله در الجندي ما اكرمه واسخاه ! ... لكأن نفسه كنز ثمين يحمله على عاتقه

. . كنز ، ولكن ما اهون ان يطرحه غير آسف ، يطرحه بكلتا يديه ، وينفضه بايمان لا يتطرق اليه أسف ، ولا يزعزعه شك . . ايمان بالله والوطن والمليك . . . يلقيه وهو يشهد الله انه في سبيل اعلاء كلمته ، ويشهد رسوله انه ملقيه في سبيل دعوته . . يجود بالنفس بين يدي بارئه ، ولسانه يردد الشهادتين ، وصوت من السموات العلا يرتل آي الله الكريم : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يرزقون »

فهل بعد هذا الجود جود ؟ ... وهل من ضير اذا قلنا انه كرم جندي ؟

أذن الطيار والارتفاع

بقلم المهندم الأول الطيار
موفق بدر سلطي

خلق الانسان ليعيش على سطح الارض، وهيأ له الخالق، عز وجل، الجو المناسب لجسمه من حيث التكوين، ولكن بفضل طموح الانسان الذي لا يقف عند حد ودأبه الدائم وحبه للاستطلاع والمعرفة، تمكن من اختراع الطائرة والتي بفضلها اصبح بمقدرته الاقلاع من الارض والتحليق بالفضاء وبالتالي دخوله في محيط غريب عن ذلك المحيط الذي خلق ليعيش فيه.

كانت الطائرات في اول عهدها بطيئة السرعة لا تستطيع الصعود الى اكثر من بضعة آلاف من الاقدام، وكان ان واجه الانسان في ذلك الوقت مشكلة انخفاض درجات الحرارة على تلك الارتفاعات البسيطة، ولكن لم تتطلب تلك المشكلة اكثر من معاطف سميكة مبطنة بالفرو لتؤمن الدفء لجسم الطيار. ولكن مع تقدم صناعة الطائرات الحديثة اصبح بمقدرة الانسان ان يصعد بطائرته الى ارتفاعات شاهقة حيث يحتاج الى اكثر من هذه المعاطف الثقيلة لمقاومة انخفاض الحرارة التي قد تصل الى ٦٥° مئوية على ارتفاع ٥٠٠٠٠ قدم وهذا ليس بالارتفاع الشاهق بالنسبة لهذه الطائرات التي تستطيع ان ترتفع الى اكثر من هذا بكثير، حيث يتعذر على الطيار بل ويصبح مستحيلا التنفس لانخفاض ضغط الهواء وبالتالي انخفاض ضغط الاكسجين الجزئي الذي يتنفسه الانسان وتستحيل الحياة بدونه.

تقدمت صناعة الطيران وتطورت، وبقي تركيب جسم الانسان على ما هو لا يستطيع تكييف نفسه حسب الاجواء التي اصبح بامكانه غزوها بطائراته الحديثة، فكان لا بد من

ان يعكف الانسان على دراسة تركيب جسمه من حيث تأثره بعوامل الارتفاع واختلاف الضغوط وايجاد اجهزة وملابس تقي هذا الجسم وتساعده على الاستمرار في عمله اثناء تحليقه في الجو وخاصة عند الاقلاع من الارض الى طبقات الجو العليا او عند الانقضاض من الطبقات العليا باتجاه الارض حيث يتغير الضغط ودرجات الحرارة تغيرا سريعاً.

تمكن الانسان من صنع الاجهزة اللازمة لحل هذه المشكلة، تلك الاجهزة التي تستطيع ان تلمس تغير الضغط الخارجي وانخفاض الحرارة فتكيف بدورها تلقائيا ضغط غرفة قيادة الطائرة وتحافظ على درجة الحرارة المناسبة التي يمكن ان يعيش بها الطيار، بل وذهب الانسان ابعد من ذلك، فصنع الملابس التي تستطيع ان تكيف الضغط حول الجسم بصورة تلقائية فتخلق جوا مقاربا بضغطه وحرارته الجو المحيط بالانسان وهو على سطح الارض تقريباً. كما ضغط الانسان الاكسجين وصنع الاقنعة التي بواسطتها يستطيع الطيار تنفس هذا الاكسجين على اي ارتفاع كان ليعيش هذا الطيار في تلك الاجواء الغريبة عن جسمه والتي لولاها لما عاش اكثر من بضعة ثوان تعد على الاصابع، ولكن مهما تقدمت هذه الاجهزة ومهما قربت من الكمال لا تستطيع ان تستغني عن لياقة الطيار من الناحية البدنية والصحية والتي بدونها لا تجدي كل هذه الاجهزة والملابس شيئاً، مما جعل الانسان يعكف على دراسة جسمه دراسة دقيقة ليرى مدى تأثير هذه التغييرات من ضغط وحرارة وارتفاع وانخفاض وما تسببه من امراض وامكانية معالجتها، فظهر طب الطيران الذي ينظر لبعض الامراض كالرشح مثلا من زاوية الطيران، وسأبحث هنا مشكلة الاذن وتأثير تغير الضغط عليها او بمعنى آخر تغيير الارتفاع.

الأذن: تقسم الأذن الى ثلاثة اقسام

١ - الأذن الخارجية ٢ - الأذن الوسطى ٣ - الأذن الداخلية.

يفصل الأذن الخارجية عن الأذن الوسطى غشاء طبلة الأذن كما تصل الأذن الوسطى بالفم قناة تبتدىء بالأذن الوسطى وتنتهي بفتحة داخل الفم. هذه القناة تسمى قناة استاكيوس ومن وظائفها الهامة المحافظة على تساوي الضغط الجوي على جانبي غشاء الطبلة بتسهيل مرور الهواء من الفم (ضغط الهواء في الفم يعادل الضغط المحيط في الجسم في جميع الاحوال) الى الأذن الوسطى وبالعكس، او بمعنى آخر المحافظة على تساوي الضغط

في الأذن الخارجية والوسطى، ويحدث هذا التساوي عندما يجري الهواء بواسطة هذه القناة لاختلاف ضغط الهواء حيث انه من الثابت علمياً ان الهواء يجري في منطقة الضغط العالي الى منطقة الضغط المنخفض . ففي الاحوال العادية عندما يكون الطيار على الارض يكون الضغط الجوي في الأذن الخارجية والفم مكافئا للضغط الجوي الخارجي وينتقل هذا الضغط من الفم الى الأذن الوسطى بواسطة قناة استا كيوس، فيصبح الضغط في الأذن الوسطى مكافئا للضغط الجوي وهنا يحصل تعادل الضغط في الأذن الخارجية والوسطى او بمعنى آخر يتعادل الضغط على جانبي غشاء طبلة الأذن مما لا يتيح للانسان ان يشعر بوجود هذ الضغط حيث تكون طبلة الأذن بوضعها الطبيعي كما هو مبين في الشكل التالي:

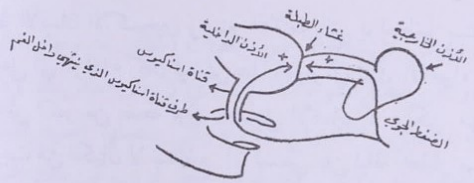

يظهر في هذا الشكل الضغط الخارجي في الأذن الخارجية، وينقل نفسه عن طريق الفم- فقناة استا كيوس- الى الأذن الوسطى، فيتعادل الضغطان على جانبي غشاء، الطبلة .

الارتفاع واختلاف الضغط الجوي :

الضغط الجوي يقاس على سطح الارض وهو ثابت ، مقداره ١٤ر٧ باوند على كل انش مربع او ضغط عمود من الزئبق طوله ٧٦٠ ملم . ويأخذ هذا الضغط بالانخفاض كلما ارتفع الانسان عن سطح البحر ويستمر الضغط بالانخفاض فيصل الى النصف تقريبا على ارتفاع ١٨ — ٢٠ الف قدم عن سطح البحر فيصبح ٣٨٠ — ٤٠٠ ملم زئبق تقريبا .

الأذن والارتفاع :

من الثابت علمياً ان الهواء يجري من منطقة الضغط العالي الى منطقة الضغط المنخفض ويستمر هذا الجريان حتى يصبح الضغط متساوياً في كلتا الجهتين .

عندما يبتدىء الطيار بالارتفاع يبدأ ضغط الهواء بالإنخفاض كما جاء سابقاً في هذا المقال فينخفض بالتالي الضغط في الأذن الخارجية ويصبح الضغط في الأذن الوسطى اكثر من الضغط الخارجي وهو الضغط الحالي او الجديد في الأذن الخارجية فيضغط هذا على جدران الأذن الوسطى بما فيه غشاء الطبلة وطرف قناة استا كيوس ولكن سرعان ما ينخفض هذا الضغط حيث يتسرب الهواء بواسطة قناة استا كيوس الى الفم حتى يتعادل الضغط في الأذن الوسطى وفي الفم (طبعاً في الأذن الخارجية حيث ان الضغط دائما واحد في الأذن الخارجية والفم على اى ارتفاع موجود به الإنسان) وبهذا يتعادل الضغط على جانبي غشاء الطبلة الداخلي والخارجي فلا يشعر الانسان بوجود مثل هذا الضغط وتغيره .

يجرى عكس هذا تماما في حالة الانقضاض من طبقات الجو العليا باتجاه الارض حيث يزداد الضغط الجوي كلما استمر الطيار بالهبوط فيزداد بهذا الضغط على الأذن الخارجية ويصبح اكثر منه في الأذن الوسطى ويضغط الهواء على غشاء الطبلة من الخارج الى الداخل ولكن سرعان ما ينتقل هذا الضغط من الفم الى الأذن الوسطى حتى يتعادل الضغطان على جانبي غشاء الطبلة وتستمر هذه العملية من دخول الهواء الى الأذن الوسطى الى ان يتوقف الطيار عن الهبوط فتتوقف حركة انتقال الهواء الى الأذن الوسطى عندما يتساوى الضغطان فلا يشعر به الانسان ايضا حيث أنه يحدث تلقائيا وبصورة سريعة جدا .

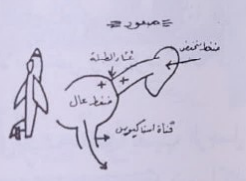

شكل (٢)

يجري الهواء من الأذن الوسطى ليعادل الضغط الخارجي في الفم

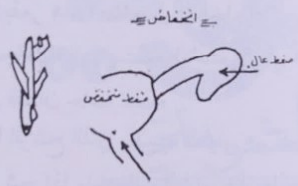

شكل (٣)

يجرى الهواء من الفم الى الأذن الوسطى ليتعادل الضغط في الأذن الوسطى مع الضغط الخارجي .

ظهر مما تقدم ان الهواء يجري من الاذن الوسطى للفم وبالعكس عـــن طريق قناة استياكوس حتى يتعادل الضغط على جانبي غشاء الطبلة ، وهذا يحدث بسرعة عندما يكون الطيار بصحة جيدة . اما اذا ما اصيب الطيار بالرشح تلتهب حنجرته وبالتـــالى تلتهب قناة استاكيوس وخاصة القسم المنهي داخل الفم وهو عبارة عـــن جزء لحمي ضيق الفتحة يزداد ضيقها مع الالتهاب وهذا الضيق لايؤثر كثيرا في حالةجريان الهواء من الاذنالوسطي للفم ولكن يصبح من الصعب جـــدا دخول الهواء من الفم الى الاذن الوسطى والسبب في ذلك هو المثل الآتي :

لو اخذنا احد البالونات التي يلعب بها الاطفال ونفخنا هـــذا البالون ثم ضغطنا على فتحته بحيث نترك جزءاً صغيراً جداً ، نجد ان الهواء يخرج من البالون للخارج بسرعة أما اذا حاولنا ان ننفخ هذا البالون من نفس تلك الفتحة الصغيرة يصبح من الامور العسيرة ان لم يكن مستحيلا .

لهذا فان الطيار المصاب بالرشح لايشعر بشيء عندما يرتفع الى الاعلى حيث ان الهواء يخرج من الاذن الوسطى للخارج كما في مثل نفخ البالون وفتحته واسعة . اما عند الهبوط وازدياد الضغط الخارجي فان الهواء يحاول ان يدخل من الفم بواسطة قناة استاكيوس الى الاذن الوسطى ولكن لضيق الفتحة بسبب الالتهاب يتعذر دخول الهواء ويصبح الضغط في الاذن الوسطى اقل من الضغط في الاذن الخارجية ويزداد هذا الفرق في الضغط كلما ازداد انخفاض الطيار وانقضاضه ويصبح الضغط في الاذن الخارجية اعلى من الاذن الوسطى، ويحاول هذا الهواء ان يجري الى الاذن الوسطى ولكن وجود غشاء الطبلة يمنعه من ذلك فيضغط على غشاء الطبلة ويقعر هذا الغشاء الى الداخل الامر الذي يسبب للطيار آلاما مبرحة والتي ان استطاع ان يتجاهلها فلن يستطيع الاستمرار في الانخفاض وقد يؤدي ذلك الى تمزيق غشاء الطبلة وبالتالي فقدان حاسة السمع .

ان هذا الرشح الذي يصيب الطيار هو نفس الرشح الذي يصيب الرجـــل العادي ، ولكن هذا الرشح اذا ما اصاب الطيار ولم يعالج معالجة تامة قد يكون سببا كافيا للاجهاز على اذنه بل فقدانه حاسة سمعه .

هذه لمحة موجزة عن تأثير الأذن بالارتفاع ومما هو جدير بالذكر أنه ليس للرشح غير الراحة علاجوعلى هذا نجد أن الطيارين يعملون حسب الحكمة القائلة : درهم وقاية خير من قنطار عـــلاج : وليس مـــن الغريب ان يتوقف الطيـــار عن الطيران بسبب مرض بسيط كالرشح حتى يتم له الشفاء التام .

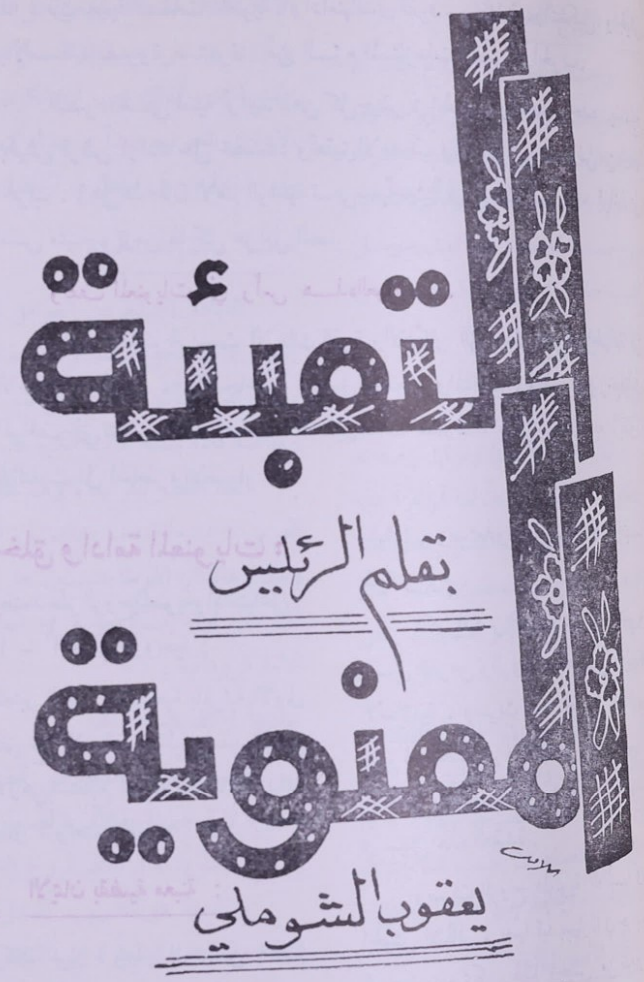

توطئة :

يتوقف النصر في الحرب على المعنويات الروحية اكثر مما يتوقف على المزايا البدنية ، فلا الاعداد البشرية ، ولا الاسلحة المختلفة ، ولا المصادر الاخرى ، تعوض عن الفجوة في الشجاعة ، والنشاط ، والعزم ، والمهارة ، وروح التعرض الجريئة ، والايمان بالقضية العادلة ، التي يحارب الجيش من اجلها ، والتي تنبثق عن العزيمه الوطنية على الانتصار

لذا ، فان تغذية الصفات المعنوية ، وادامتها لدى الفرد ، والقطعة ، والتشكيل ، والجيش والامـــة ، بصورة مستمرة ، من الـــزم المستلزمات للنصر في الحرب .

النصر اغـــلى امنية تراود ذهن كل جيش في الحرب ، وبالنصر وحده يستطيع الجيش فرض ارادته على خصمه ، وتحقيق الاهداف والأماني التي خـــاض من اجلها الحرب . وعلى هذا فان الامم الواعية تسعى سعياً حثيثاً في فترات السلم لبناء قواتها على اسس متينة ، تؤمن لها كل عوامل النصر .

وتقف المعنويات في رأس هـــذه العوامـــل .

والروح المعنوية ليست الا تلك القوة والافكار التي تمكن الفرد والجماعة من الاحتفاظ بالصبر ، والشجاعة ، وتحمل الاخطار والمتاعب ، وبذل الدم رخيصاً في المواقف التي تتطلب هذه الصفات ، لتحقيق هدف مشترك ، يؤمن الجميع به ، بدون الالتفات الى المخاطر والاضرار .

١ - خلق وادامة المعنويات :

يعتمد خلق الروح المعنوية وادامتها على :

١ - الاسس الروحية :

تعتبر الاسس الروحية بالمرتبة الاولى لانها تخلق مع الانسان ، وليس من السهل ازالتها ، وهي تستطيع ان تصمد امام الشدائد والاخطار ، وتعتمد على :

اولا : الايمان بقضية معينة :

كان الدين ، وما يزال ، من اعظم دعائم المعنويات ، وقد ثبت ان انماء العقيدة الدينية او غرسها في نفوس ابناء الشعب ، وفي نفوس الاطفال والتلاميذ ، في بيوتهم وفي مدارسهم ، تخلق منهم شبانا يؤمنون بقضيتهم العادلة ، ويحاربون حتى الموت في سبيلها ، ومستعدون دائمـــا للدفاع عنهـــا بقوة وحزم .

فقد انتصر العرب ، رغم قلتهم ، عـــلى الفرس والروم ، بفضـــل العقيدة الاسلامية ، وسرت هذه العقيدة بدمائهم حتى اصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم ، واخذوا يتسابقون لنيل شرف الاستشهاد في سبيل هذه العقيدة .

وسرت الروح المعنوية العاليـــة في الجيش الالماني ، بعثها فيه بسمارك في حرب السبعين ، وتمكن هذا الجيش من تدمير الجيش الفرنسي ، واملاء ارادته على فرنسا .

فالجندي يجب ان يعرف لماذا يحارب ، وما الاهداف والغايات التي ستحقق عند النصر ؟ وما المصير عند الفشل ؟

ثانياً : الروح التعرضية :

واجب الجندي ليس الدفاع فقط ، بل يجب ان تغرس فيه روح التعرض لتحقيق اهداف الامـــة ، التي قد تتطلب مبادرته بالهجوم . فعليه يجب ان تبنى المعنويات على روح منحمسة للجهاد والنضال في سبيـــل قضيـــة معلومة ، يؤمن بها كـــل فرد من ابناء الامـــة .

ثالثاً : الاسس العقلية :

تتأثر اعمال الانسان ومزاياه وصفاته بتفكيره وعواطفه وميوله ، لذا فمن الواجب ان نبعث الايمان في قلب كـــل جندي بأن الهدف الـــذي يسعى للحصول عليه ليس ببعيد المنـــال ، بل انه أمر هـــين ، يمكن الحصول عليه .

ويجب ان نوفر في الجندي الثقة التامة بكفاءة وحدته ، وصنفه ، والتشكيل الذي ينتسب اليه ، وثقته بضباطه وقادته ، كما على القائد والضباط ان يكسب ثقة جنوده ومرؤوسيه ، ويحافظ عليها بكل الوسائل .

رابعاً : الاسس المادية

بالرغم من ان المعنويات العالية يجب ان تكون اسسها رصينة ، بحيث لا تتأثر كثيرا عندمـــا تسوء الظروف الماديـــة ، كنقص الاسلحة ، والارزاق والتجهيزات الا ان اهمال هذه الامور من مثل المسؤولين يؤثر ، ولـــو بنسبة قليلة ، في هبـــوط المعنويات ، لذلك يجب ان يكون الجهاز الاداري للحرب جيداً ، سواء كـــان في جبهة القتال او في الخطوط الخلفية .

خامساً : القيادة الجيدة

القيادة الجيدة من العوامل الهامة في رفع وادامة المعنويات ، ولكفاءة القائـــد ومقدرته ، التأثير المباشر على سير المعركة وخاصة قادة التشكيلات الكبيرة .

لقد انتصر العرب ، وهم قلة ، على الفرس ، عندما قادهم خالد بن الوليد . ومكن هانيبال القرطاجنيـــين من احراز نصر على اول امـــة حربية في العالم وهي الامة الرومانية .

سادساً : الضبط والربط

الضبط هو الواسطة التي تحقق القوة المعنوية لاية جماعة مقاتلة . فالضبط مرتبط بالروح المعنوية ، ارتباط الروح بالجسد .

والضبط هو التدريب المـــؤدي الى النظام والطاعة والسيطرة على النفس ذاتياً ويعود الجلد والصبر على المكاره بنظـــام ورضى .

ويجب ان لا يبنى الضبط على الخوف والرهبة من العقاب والزجر والتوبيخ ، انما يبنى على اسس من المحبة والاحترام والشعور

بالمسؤولية والالفة والاخلاص ، وتفهم الاهداف النبيلة التي اسس من اجلها الجيش. ثم الايمان بالقضية التي سيقاتل من اجلها .

سابعاً : التسليح والتجهيز

للتسليح والتجهيز الجيدين تأثير كبير على رفع المعنويات . فالحرب اليوم حرب موارد وامكانيات ، ينتصر فيها من يستطيع ان يمون قطعاته بسيل لا ينقطع من الاسلحة والتجهيزات والمواد الاخرى .

ثامناً : التدريب الجيد

التدريب الجيد له اهمية كبرى في غرس الضبط وفي رفع المعنويات وله علاقة وثيقة بالضبط والمعنويات .

٢ ـ التوجيه المعنوي واثره بالمعنويات

التوجيه المعنوي هو تنمية الاتجاهات القومية التى تقوي وتدعم روح القتال والتعرض لدى الافراد .

وتقسم الاتجاهات الى نوعين :

أ ـ اتجاهات عامة

كالعطف على الفقراء او كراهية الاستعمار وكراهية اسرائيل .

ب ـ اتجاهات خاصة

كحب جلالة القائد الاعلى او قائد التشكيلة ، او تأييد فكرة معينة مثل الوحدة والحرية والحياة الفضلى .

والاتجاها القوميه هي :

١ ـ الاعتزاز بمكاسب الثورة العربية الكبرى .

٢ ـ الاتجاه نحو تدعيم القومية العربية الاصلية .

٣ ـ تعبئة النفوس للقضاء على الاستعمار .

٤ ـ تعبئة النفوس لتدمير اسرائيل..

ويهدف التوجيه المعنوي الى ما يلي :

(١) اثارة الاحساس بالمسؤولية وتنمية روح التضحية ، والاستيعاب العميق للواجب الوطني والقومي ، لجميع افراد القوات المسلحة ، والشعور بالواجب نحو حماية المجتمع الاردني .

(٢) رفع الروح المعنوية للافراد ، وتنمية ايمانهم بالعقيدة ، والوحدة ، والسلاح والثبات في المعركة .

(٣) تعتبر التربية القومية جزءاً لا يتجزأ من مسؤولية القيادة ، على مختلف المستويات وليست الاهداف القومية سياسية ، بل هي واجب قومي ، يجب ان يدركه كل فرد من افراد القوات المسلحة ، ويؤمن به عن وعي ، واقتناع تام .

(٤) تعبئة الشعور القومي ضد اعداء الوطن العربي ، واثارة الكراهية لاسرائيل بدرجة الحقد .

(٥) النوعية في العقائد الدينية ، والقيم الروحية في اطار الاهداف القومية .

(٦) نشر مقومات القومية العربية من النواحي الروحية والتاريخية ، وتبسيط معانيها ، وابراز الانتصارات التي حققتها .

(٧) شرح مفهوم الثورة العربية الكبرى ، من الناحيتين النظرية والتطبيقية ، مع توضيح المكاسب التي تعود على الشعب منها في مختلف النواحي الاقتصادية والثقافية .

(٨) تنمية الاتجاهات النفسية الصحيحة ، والقضاء على الاتجاهات الخاطئة ، التي تؤثر على روح القتال ، والتعرض ، ومحاربة الاشاعات والقضاء عليها ، ومنع انتشارها .

(٩) شرح مفهوم المجتمع الاردني بطريقة مبسطة ، تتفق مع مختلف مستويات الافراد ، من ضباط وضباط صف وافراد ،

الخاتمة

يتضح مما تقدم ، ومن معرفتنا للروح المعنوية ، التي تمكن الفرد او الجماعة من الاحتفاظ بالشجاعة ، والعزم ، والقدرة على تحمل المشاق والآلام ، في المواقف الحرجة ، بان الروح المبنية على اسس متينه من الضبط الجيد ، والتسليح والتجهيز المكين ، والتدريب الراقي ، والقيادة الكفوءة ، والتوجيه المعنوي السليم ، تكوّن بمجموعها عوامل النجاح ، وكسب المعارك والحروب ، وفرض ارادة الامة على الخصم ، وتحقيق اهدافها النبيلة وتبقى حية خالدة اذا ما ادمناها في جيشنا فندخل الى المعركة المقبلة ونحن واثقون من ان النصر قريب لا محال .

الروح المعنوية تمكّن الفرد والجماعة من الاحتفاظ بالصبر ، والشجاعة ، وتحمل الاخطار والمتاعب وبذل الدم رخيصاً في المواقف التي تتطلب هذه الصفات لتحقيق هدف مشترك ، يؤمن الجميع به ، بدون الالتفات الى المخاطر والاضرار .

(تصوف)

الزهر انـدى عبـيراً منه قلبانـا ... والفجر الطف روحا منه روحانـا
والورق ما هتفت في الروض ساجعة ... الا لتمـزج شكواهـا بشكوانـا
غفت عـلى وتر الالهـام نشوتنـا ... واستيقظت من عميق اللحن ذكرانـا
يهدهـد الليل فينـا سمع انجمـه ... تصـوّفـا وتسابيحـا وغفرانـا
فـلا تسل عن امانينـا وغايتنـا ... فقد نرى من وراء الكون اكوانـا
نحن الهوى وهو منا حيث ننزلـه ... يسرى افتضاحا، بعينينـا، وكتمانـا

(سراب)

جلست في غرفتي والقلب يـذكر ... وهومت حولي الاشباح والصـور
طافت على شاطيء النسيان اخيلـتي ... وما برحتُ عـلى الاوهام انتظـر
فاين مـنيّ ايامي التي انـدثرت ... عبر السنين وفيها القطف والثمر !
واين مـنيّ آمالي وقـد لبسـت ... ثوب الحداد وضاع الجدّ والحذر !
لا اشتهي غير ذكرى في تألقهـا ... أنسى الظلام الذي حولي وانتصـر
كبسمة البرق في ظلمـاء حالكـة ... يكاد منها سنى الاصبـاح ينتصـر

(صورة)

واقبلت من وراء السـتر راقصـة ... عـلى لهيب من الآثـام محمـوم
غرثى يلقمها الشيطان ما احتنـكت ... اشداقـه مـرّ غسلـين وزقّـوم
افعى تلوى عـلى اللذات محرقـة ... كأنما نشـأت في ظـل يحمـوم

تلوس بـالقدم المسمـوم عفتهـا ... يا ويح كل زنـيم القلب مسمـوم
حتى اذا اهترأت جسما واحوجهـا ... عوز لكل خسيس الكف مذمـوم
فهالك تطاب الغفران من نـدم ... واين منهـا عبـير غير مشموم !

(حقيقة)

السرّ في ظاهر الاشياء وهـي الى ... زوال بهجتها تمضـي على عجـل
ويشخف فـؤادي كـل بارقـة ... تلوح لي من سواد الاعين النجـل
حتى اخال بان الحسن ملك يـدى ... وان كل وجـود في الحقيقـة لي
والـني (آدم) الاشياء علمـني ... اسرارها الله في مكنونـة الازل
والـني في ضمـير الغيب علتـه ... وانني في وجودي علـة العلـل
انا الفناء فـلا ليـل ولا ألـق ... انا الزوال بـلا حسن ولا امـل

(رجوع)

طويت عـبر سنّي العمر قافلـتي ... فليس مـن اثر للخيـل والبيـد
وانبتُ من رحلة عميـاء طائشـة ... لرحلـة في خضمّ غـير محـدود
فـلا بريـق رجـاء في جوانبـه ... ولا غياث غريق منـه إن نـودي
بحر من الغيب تاهت في عجائبـه ... ارقى العقـول ولم تظفر بتحديـد
فكن بزاد التقى والخـير معتمـرا ... تنل من الله اقصى الـبر والجـود

١ ـ نواح ورقاء

ورقاء روعني نواحكِ ، لمْ تُرى هذا النواح ؟
هل في فؤادك من هوى بكر ومن نأي جراح ؟
ام جفت الازهار في واديك ام ذبل الاقاح ؟
خلي النواح ، ففي غد تزدان بالورد البطاح
ان الدموع لمن له ليل وليس له صباح

٢ ـ بكاء شاعر

انا ان بكيت فلا ألام ، لانني ابكي دياري
ابكي على وطني السليب تعيث فيه يد الدمار
ابكي احبائي واخواني وخلاني وجاري
باتوا تضمهم الخيام ، على لظى وسعير نار
أنّى نظرتَ رأيتُ في قسماتهم بؤسي وعاري

٣ ـ دمع ضائع

لكنّ دمع العين لا يجدي كثيرا او قليلا
ما صدّ دمع عن حمى يوما عدوا او دخيلا
يحمي الحمى من يحطم الاغلال والقيد الثقيلا
من لا يقيم على الاذى ويرى الردى عذبا جميلا
من ليس يرضى عن حماه وعن نسائمه بديلا

٤ ـ ميثاق

آلى الشبابُ ، وانه يا موطني أمل الغد
والمرتجى عند الخطوب لكل يوم اسود
ألاّ تذل لغاصب او أن تلين لمعتدي
ان يبذل الارواح ، يرخصها لاسمى مقصد
لتظل تنعم بالخلود على المدى والسؤدد

٥ ـ صوت البشير

يا ايها الوطن العزيز على الصغير على الكبير
هلاّ سمعت ، وقد اطل الفجر ، اصوات البشير
سنعود يا وطني اليك غداً مع الصبح المنير
تحت البنود الحمر تقطر بالدم القاني الغزير
لتقبل الارض الطهور تفيض باليمن الوفير

٦ ـ عائدون

سنجيء كالرعد المجلجل كالصواعق كالضياغم
نمشي على بحر من الاهوال يزخر بالجماجم
من رام انقاذ الحمى من كل مغتصب وغاشم
شق الطريق الى الحمام وثغره الوضاء باسم
وطني سنرجع في غد بشراك يا مهد المكارم

شعر
وهيب رشيد البيطار

رأيتهم كالبنيان المرصوص ، شاكي السلاح ، تلوح على وجوههم سيما الرجولة والبأس والنجدة ، فهزني منظرهم ، وأثار في نفسي الشوق ، وجدد الامل بمستقبل باسم مجيد لهذه الأمة العريقة .

ما بغير الفدا وبذل الغالي ... يُدرَكُ المجد أو تنال المعالي
قد نبذنا الأقوال منذ زمانٍ ... وعدلنا عنها إلى الأفعال
علمتنا الأحداث أن الأماني ... في ركوب الاخطار والاهوال
في فم المدفع العتيد إذا أزّ ... وفي ثغر بندقية سيّال
والعزيز العزيز من صال أو جال وليس العزيز بالقوّال

* * *

أيهذا الاردن يا بلد المجد ويا موطن الندى والجمال
نحن ابناؤك الأباة وفينا ... مسرحٌ للطموح والآمال
قم تأمل بنيك من كل طودٍ ... ثابت في السلاح أو مختال
تر فيهم سيما الرجولة والبأس وزين الساحات يوم النزال

لغة العصر أتقنوها وليست ... لغة العصر غير سحق الرجال
إنما الحقّ للقويّ فانْ خا ... رَ فحقٌّ عليه خفق النعال
عالم للذئاب سيطر فيه ... كلّ ضارٍ على الأذى ختّالِ

* * *

يا جنود البلاد تيهوا وتيهوا ... وتهادوا في عزّةٍ وجلالِ
انتم صفوة الشباب وفيكم ... لمحات من الجدود الأوالي
لمحات من كلّ من طلب المجد ... وضحّى من أجله لم يبال
لمحات من المثنى وسعد ... وعليّ وخالد الرئبال
لا تفرّوا على الهوان فما قرّ عليه في الناس غير الموالي
حققوا وحدة البلاد وصونوا ... شرف العرب والتراث الغالي
إن يكن في العدوّ داء ففي النار دواءٌ لكل داء عضال
اقذفوه من علّة الجشع المتعب باليأس فهو راحة بال
ملأ الارض منذ كان فساداً ... فهي من فرط مكره في اختلال
أي شعب ما طاله ذلك المكر ... فقاسى جرائم الانذال
قل أثاروا الحروب في كل صقع ... وانتحوا لم يشاركوا في قتال
فهمُ نقمة الشياطين في الارض وسم الاراقم الأصلال
قد بلينا بهم بلاء قديما ... منذ قيّلوا وأمعنوا في الضلال
منذ لم يقنعوا بما قسم الله وراموا بلوغ كلّ محال

* * *

أيها المؤمنون بالسلم إنّا ... لا نرى فيه غير محض خيال
ومتى أذعن العزيز على الخسف وفي ساعديه فصل المقال
كيف ننسى أوطاننا وهي منّا ... نظرة في اليمين أو في الشمال
قد رضعنا غرامها منذ كنا ... في قديم الأجيال والأجيال

وسقينا ربوعها من دموع ودماء في حالكات الليالي
عاث فيها الفساق سفكاً وهتكاً وأذلوا عزيزها وهو عالِ
فمنعنا ترابها وسماها وأبيحت للطارىء المحتال
نحن منها وفي ثراها سنحيا رغم أنف العداة والعذال
والينا مصيرها ابد الدهرِ طيال السنين في كل حال

* * *

أيها الجند كل آت قريبٌ فاستعدوا لتأثروا للمعالي
وأعدوا للحرب مهما استطعتم من عتاد وعدّةٍ واحتمال
يدرك المستعد ما شاء في الحرب ويفنى من خاضها في ارتجال
وينال الآمال من اكرم الموت بقصف الاعمار والآجال

* * *

يا مليك البلاد هذي أياديك فابشر باليمن والاقبال
هكذا تأسر القلوب وتبني أمّة فكّكت عراها الليالي

مضى على الناس زمن ، ساد بينهم الاعتقاد ، بأن العلم لابد وان يؤدي تقدمه الى تحسين مستمر ، في اصول المعيشة ، والى وضع حد لآلام البشر ومتاعبهم . ولكن الحرب العالمية الاولى ، والازمات الاقتصادية التي اعقبت تلك الحرب ، اثبتت ان العلم قد يستغل للتدمير ، وانه قد استعمل عملياً في الحرب ، وفي انتاج آلات الهلاك ، والتخريب ، وادوات الدمار ، حتى ارتفعت اصوات نادت بأن الوسيلة الوحيدة للابقاء على الحضارة ، هي في ايقاف البحوث العلمية ، مدة من الزمن .

وتنبه العلماء الى هذا كله ، وراعهم ما تنادي به تلك الاصوات ، مما دفعهم الى دراسة مدى اتصال عملهم بالتطورات الاجتماعية ، والاحداث الاقتصادية الحالية . . . وليست رسالة العلم ، الا محاولة لمعرفة هذا الاتصال وتحليله ، وبحث مسؤولية العلماء – كجماعة او كأفراد – في المجتمع الحديث ، واقتراح الوسائل الكفيلة بجعل النهضة العلمية طيبة الثمرات ، بدلا من ان تكون مدمرة مخربة » .

وحين تبحث رسالة العلم ، يجب ان لا تبحث باعتبارها بحثاً قائما بذاته ، بل بصفتها مسألة نشأت مع العلم ، ونمت معه تدريجيا . يقول برنال : « . . ولم يعد العلم شاغل اناس

تملكهم حب الاطلاع ، او افراد متوقدي الاذهان ، ينفق عليهم ذوو ثراء او جاه ، بل اصبح العلم صناعة تعتمد على الدولة ، وعلى الاحتكارات الصناعية . . » وخرج العلم من صفة (المحدود) الى (اللا محدود) ، ومن الفرديه الى الجماعية ، وسار في اتجاه الانتاج العام ، والخير المشترك ، وعلى هذا فلا بد ان ينظم ، حتى يفيد منه المجتمع فائدة كلية .

وان الدارس لتطبيقات العلم المتنوعة ، يجد ان معظم الجهود كادت تكون قاصرة على تحسين وسائل الانتاج المادي ، وتحسين اسلحة الحرب . وفي الطبيعي ان يؤدي ذلك الى اهمال التطبيقات العلمية ، التي تعود الى خير الانسانية في الميادين الصحية ، والحياة اليومية ، كما ادى الى الاهتمام الكبير بالعلوم الطبيعية والكيمائية والاهمال السيء للعلوم البيولوجية ، والعلوم الاجتماعية .

* * * *

وبدأ الوعي يعم العلماء ، وافاق الكثيرون من غفلتهم ، وانتشر بينهم الشعور بالمسؤولية الاجتماعية ، فقدروها حق قدرها ، ولكن لن يتجنب العلم ما يتعرض له من اخطار ، ولن يؤدي رسالته الا اذا اكتمل فهم العلماء وتقديرهم للصلات القوية بين العلم والحياة في المجتمع فهناك تفاعل بين العلم والمجتمع ، ولا يمكن التغاضي عن هذا التفاعل ، ذلك لأن العلم يؤثر في التغييرات الاجتماعية ، ويتأثر بها في هذا العصر . ولكي نجعل هذه الحقيقة ذات أثر ، يجب على العلماء ان يدرسوا التفاعل بين العلم والتغيرات الاجتماعية ، دراسة ادق مما حدث حتى الآن ، لاستخلاص نتائج معينة . واهم نتيجة للعلم هي زيادة المعرفة للعالم الطبيعي ، الذي يتمثل للانسان عن طريق حواسه ، زيادة مضطردة . . ولسنا بحاجة الى القول ان ازدياد المعرفة العلمية اتساعاً ، يفيد تعدد الميادين التي نجح فيها العلم ، من الفلك الى الطبيعيات ومن الكيمياء الى العلوم البيولوجية ، ومن الطب الى الهندسة والزراعة ، ومن علوم النفس والسلوك الى ميادين الخدمة الاجتماعية ، ومن الاقتصاد والتربية الى كل مظاهر النشاط التي تميز المجتمعات الحديثة .

والذي نلاحظه — وهو الواقع — ان رقعة العلم تزداد انبساطاً ، واساليبه تتبع في تلك الميادين بدرجات متفاوته من الدقة والنجاح .

وان ازدياد المعرفة العلمية عمقاً ، في اي ميدان من تلك الميادين ، يفيد الدقة والشمول في المشاهدات والارصاد ، كما يفيد وجود النظريات الصحيحة التي تفسر هذه الظواهر

وتنبيء عن كيفية حدوثها في المستقبل . ومن الطبيعي ان لا تنتهي المعرفة العلمية ، مهما كان اتساعها وعمقها ، عند مرحلة الحصول عليها ، او التأمل في جلالها وروعتها ، بل ترجع ثانية الى المجتمع لتكون قوة له في تحقيق آماله ، والوصول الى اهدافه : فكل معرفة استمدت من المجتمع ، ترجع اليه في صور مختلفة ، من تطبيقات في الصناعة والمواصلات والهندسة والتربية والثقافة والحرب والسياسة وغير ذلك . وان هذه التطبيقات تدعم بناء العلم ، ذلك لانها عامل اساسي في اتساعه ، وفي تمكين الروابط والعلاقات بين العلم وبين المجتمع . ويتبين لدارسي تاريخ الحضارة ، والمدركين للعوامل التي تتفاعل فيها ، ان العلم هو وسيلة من الوسائل التي استعان بها الانسان في بقائه وقوته : فالعلم قد اصبح مصدر قوة وسطوة وسلطان وجبروت ، وله الأثر الفعال والحاسم في ماديات الحياة ومعنوياتها ، كما يتجلى لهؤلاء ان العلم هو ظاهرة اجتماعية ، لا يتقدم ولا ينمو الا في بيئة صالحة لتقدمه ونموه . فالمجتمع والعلم يتفاعلان ، ويتبادلان المعونة ، ويؤثر كل منهما في الآخر ، ويتأثر فيه . ولهذا اصبح لزاما ان يكون هناك ملائمة بين المجتمع والعلم ، حتى يكون العلم متفوقا ، والمجتمع ناهضا ، فلا يزدهر علم في مجتمع ضعيف هزيل البنيان ، ولا يقوم توازن بين العلم والمجتمع ، الا على اساس من التنسيق القائم بين الجهود الفكرية في العلم وغيره من نواحي النشاط الفكري والانساني من ناحية ، وبين الجهود العلمية ممثلة في النشاط الاجتماعي والاقتصادي من ناحية اخرى .

وقد بحث العلماء هذه النواحي بالتفصيل ، ووضعوا في ذلك التآليف العديدة ، فبينوا وظيفة العلم باعتباره احد مظاهر النشاط الانساني والفكري والمادي في المجتمع الحديث ، وكيف يؤثر العلم في المجتمع القائم ويغيره ، وكيف يتأثر العلم بالمجتمع القائم فيقوى وينمو او يضعف ويهزل ، وكيف يمكن ان يتقدم العلم تقدما تم به الفائدة الاجتماعية كاملة ، . . وهذا لا يمكن التمادي في بحثه الآن . . وما اريد التشديد عليه والخروج منه ، ان العلم لا يكون ناهضا اذا لم يتفاعل مع المجتمع ، ذلك بأن يعطيه نتائج تقدمه ، ويستمد منه القوة اللازمة لمتابعة التقدم ، ولا يكون العلم حيا اذا لم يدخل الحياة العملية او يسخر للاصلاح والتوجيه والبناء ، بل ان العلم لا يكون اصيلا الا اذا استمد مواضيع بحثه من نفس المجتمع ، ودخل في صميم حياته ، وادى الى التقدم والنمو ، فلا قيمة لكفاح رجال العلم اذا لم يثمر علمهم اصلاحا وانتاجا ، ولا حياة لجهودهم اذا لم تقم على اساس خير

المجتمع وتقدمه . والواقع ان رسالة العلم تتركز في اسلوبه ، وفي تسخيره للمجموع ، وتقدمه وفي اثره في التغيير .

يجب ان يتحرر العرب من مقاييس الماضي ويحرروا عقولهم من التقيد بالاغراض المألوفة ، ويعملوا على تكوين اغراض جديدة . وبذلك يمكنهم ان يتقدموا ويسايروا الحضارة في ركبهم ، كما يصبح في مقدورهم ان يقاوموا التيارات المعاكسة لتقدمهم ونموهم ، فيحفظوا عليهم كيانهم ، ويعيشوا في صميم الحياة ، لا على هامشها ، عاملين — منتجين — سائرين في طريق النمو والارتقاء . والعرب لا يحصلون على شيء من التحرر من المقاييس الماضية ولا يستطيعون تحرير العقل الا اذا اخذوا بالعلم واسلوبه ، وآمنوا برسالته ، وعاشوا فيه ، واستخدموه في التربية ، وسائر نواحي الحياة . فالطريقة العلمية اذا تفهم الطلاب والناس ومن بيدهم مقاليد الامور معناها ، وتشربوا روحها ، فانها تعينهم على فهم الحياة . فتنشأ عندهم عقيدة ، وهي انهم يستطيعون السيطرة على الطبيعة ، سيطرة نافعة للبشر ، فينظرون الى المستقبل ، بدلا من الماضي ، ويتحررون من المقاييس الماضية ، والمقاييس غير المضبوطة ويكون نموهم متصلا ومستمرا ويتجلى لهم ان العلم قوة ، وان العلم بطريقته ، وهو اساس التقدم الاجتماعي والعمراني ، فلا يمكن ان يحدث هذا التقدم وحده ، دون تقدم فكري وثقافي مقترن به . وما كان للتقدم الفكري والثقافي ان يكون ، ولا ان يثمر الثمار المرجوة ، دون تطبيق الاسلوب العلمي في سائر المرافق ونواحي النشاط الانساني .

ان كل حركة علمية ، اذا لم تهدف ازدياد القدرة على تحقيق اهداف اجتماعية وعمرانية وفكرية ، ستدفع الى الفشل والخمول والجمود . وقد اصبح الهدف الاجتماعي والعمراني للحركات العلمية في هذا العصر ، هو زيادة الثروة بحسن استغلال الموارد الطبيعية ، والاستثمار في الزراعة والصناعة ، على اساس تدعمه الطريقة العلمية ، والاساليب الحديثة ، واستنباط موارد جديدة ، ومسايرة العمران ، ومتابعة التقدم العالمي ، في هذا الشأن .

ان عدم اتباع العرب الطريقة العلمية في الحياة ، وفي المشاريع العمرانية ، وفي المشاكل السياسية ، قد ادى الى الارتجال الذي رأيناه في السنوات الماضية ، متغلغلا في اعمال العرب ، ونواحي نشاطهم ، فلم يسيروا في الحياة ، وفي تحقيق اهدافهم ، على اسس من الارقام ، ولم يلجأوا الى الاستقرار في معالجة المشاكل ، ودراسة المشاريع ، كما انهم لم يعتمدوا على الدرس والبحث في اعمالهم ، وتحديد اهدافهم .

وفي رأيي ان هذه الاوضاع ، وما اكتنفها من فوضى — وهذا البعد عن الاسلوب العلمي — قد نتجت عن الجهل والتقيد بالماضي ومقاييسه ، وعدم ادراك رسالة العلم ، وتقدير اسلوبه واثره في الحياة والعمران .

يجب ان يؤمن العرب ، ان العلم قوة ، وانه لا يمكنهم الحصول على اي تقدم ، اجتماعي او عمراني ، الا على اساس التقيد به ، واتباع طريقته . حتى السياسة ، اذا خلت منه ، كانت تهريجا ، وبضاعة لاقيمة لها ، ولا حياة معها ، واذا تحركت في دائرة العلم واساليبه ، كان نتاجها ثمراً ايجابيا ، وفي مصلحة الجماعة . فالسياسي الذي يسير على الاسلوب العلمي ويعتمد على الاحصاءات والرقم في حل القضايا ومعالجة المشاكل ، لا يرتجل ، ولا يتقيد بالاساليب الماضية ، وينظر دائماً الى الامام ، ويكون في اعماله متجدداً ناميا ، يعتمد على الوجدان والتعقل ، لا على العواطف والارتجال .

والعرب في حاجة الى هذا الطراز من السياسيين ، الذين يحملون عقليات احصائية ، وروحا علميا ، ويعالجون القضايا والمشاكل بروح العلم واسلوبه ، وقد قال احد كبار السياسيين الانكليز في خطاب الافتتاح الذي القاه في مؤتمر العلم والتنظيم العالمي سنة ١٩٤١ : ... « انه من الخير ان تتعاون السياسة مع العلم ، وانه من الخير للامم ان يكون بيد العلماء الكثير من المناصب العليا فيها ، لتوجيهها توجيها علميا . . . »

ان هذا العصر لهو عصر العلم ، فمن لم ياخذ به ، ويسير على طريقه ، ويؤمن برسالته فقد تنكر لروح العصر ، وحاد عن التقدم ، وقاوم تيار الحضارة .

والامة التي تبغي حياة ، وكيانا ، وبناء مجتمع فعال منتج ، عليها ان تستخدم العلم في التربية ، لينشأ جيل ذو عقلية مرنة ، تؤمن بقدرتها على تسيير الامور ، واحداث تقدم في ميادين الصناعة والاجتماع . والتقدم لايكون حيويا ومنتجا الا اذا قام على اساس من الاسلوب العلمي ، الذي يساعد في السيطرة على الطبيعة ، ويمهد للاختراع والاكتشاف .

ولهذا وجب على المسؤولين ، التشديد على الطريقة العلمية ، وادخالها في المناهج التعليمية ، والاهتمام بالنواحي التجريبية ، من العلوم الطبيعية ، فتحرر العقول من التقيد بالاغراض المألوفة ، ومن المقاييس غير المضبوطة ، فتنطلق في عوالم النمو والتقدم ، وتتفتح [illegible] لحل المشكلات القائمة ، وتتسع افاقه ، ويستنير ذهنه ، وتنكشف امامه [illegible] ادراك ما يجري حوله في عالم الاقتصاد والعمران ، والثورة

الصناعية هي ثمرة العلم التجريبي ، والاختراعات ليست الا شواهد على تطبيق العلم على الحياة ، وقد خرجت من الاسلوب العلمي ، ونبعت من الحقائق التي كشف عنها هذا الاسلوب .

ولا تقف مزايا هذه الطريقة ، عند هذه الحدود ، بل ان هذه الطريقة تساعد على ازالة آثار التقاليد والعادات ، وتهيء للنمو والتطور ، فتجنب المتشبع بروح العلم كثيراً من الارتباك الذهني ، في السياسة والاقتصاد ، مما يساعد على حل المشكلات والقضايا ، حلا سليما ، يقوم على الاستقرار ، والرقم ، والتجربة ، وفوق ذلك ، فالاسلوب العلمي مدرسة للخلق العالي ، ذلك لان قواعدها هي التجرد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء ، والصبر والمثابرة في التجربة والامتحان ، ونكران النفس في سبيل الحقيقة . وهذه الصفات التي يجب توفرها في الباحث ، هي في الواقع الصفات التي تسير مع الخلق العالي .

ومن هنا ، تتجلى الفوائد المادية والمعنوية ، التي يجنيها المجتمع من تشبع المسؤولين ، والناس ، بالروح العلمية ، وتفهمهم للاسلوب العلمي ، وتبصرهم بمعاينة ، وادراك اثره في تقدم الفرد والمجموع .

* * *

ان اول واجبات الدول العربية ان توجه جل اهتمامها وجهودها الى العلم ، ونشر التعليم واشاعة الروح العلمية ، فتقدمها يقوم على ذلك : ولن يشاد للعرب في هذا العالم اي كيان ، الا اذا اتبع العرب الاسلوب العلمي ، وآمنوا برسالته . وعلى الدول العربيه (ولاسيما الغنية منها) ان تعنى بالبحث العلمي ، وتشجيع الدراسات العلمية ، وانشاء مجالس للبحوث العلمية ، وبذلك يتمكنون من استغلال امكانياتهم ، وثرواتهم ، في باطن الارض واستثمارها للخير العام ، وخدمة المجتمع .

ويسركم ان تعلموا ان العرب بدأوا يدركون اهمية العلم في الحياة ، وفي التقدم ، وبدأت الجامعة العربية تدعو الى مؤتمرات علمية ، يقصد منها تنسيق التعاون بين البلاد العربية ، في ميادين العلم والبحث والصناعة .

ففي سنة ١٩٥٣ ، دعت الجامعة العربية الى المؤتمر العلمي الاول ، وقد عقد في الاسكندرية واجتمع فيه اكثر من ٣٠٠ عالم عربي وباحث ، وظهرت بحوث علمية مبتكرة وجرت مناقشات ، وعرضت المشكلات ، وقضايا تتصل بالاقتصاد ، والثروات ، والبترول ، مما دلل على ان العرب في سبيل وثبة بارعة ، لتدعيم استقلالهم ، واستقلال ثروات بلادهم ، ومعادنها ، ورفع مستوى الحياة في المجتمعات العربية .

وقد دعي المؤتمر ، والمؤتمرات الثلاثة التي تلته ، الى تنسيق اعمال المجامع البحوث العلمية ، والى تبادل المعلومات والخبرات ، والاستعانة بجهود اللامعين والنابهين من العلماء العرب .

ونتج عن هذه المؤتمرات العالية الاربعة ، قيام اتحاد علمي عربي ، ينظم التعاون بين العلماء العرب ويهدف الى تنسيق الجهود العلمية ، وتوجيهها لخير العرب وتقدمهم .

لقد بدأ العرب يدركون ان الاستقلال لا يكون وطيد الاركان الا اذا قام على اساس من العلم وتطبيقاته ، وعلى مسايرة الحضارة في تقدمها ومزج الحياة بالعلم ، ذلك ان العرب لن يستطيعوا اداء رسالة الحياة واعلاء كلمة الحق ، والخير ، اذا لم يأخذوا بالحقيقة التالية .

ان العلم قد امتزج بالحياة ، بحيث لم يعد لها معنى بغيره ، فلا خلاص للعرب الا على هذا الاساس ولا معنى لوجودهم الا اذا سايروا الحضارة في ركبها ، وشاركوا في الارتقاء الانساني ، مشاركة فعالة تقوم على تسخير جهودهم وقواهم ، وقابلياتهم ، وامكانياتهم ، في تحقيق العدل الاجتماعي ، في ميادين الانتاج الشامل ، والخير المشترك .

فكر ساعة ، خير من عبادة ستين سنة .

حديث شريف

ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم فرحاً بما يصنع .

حديث شريف

الصفحة الاخيرة

معركة اللطرون . .

للشاعر : محمود الافغاني

مهما وصفت ، فليس الوصف كالنظر ... شتان ، شتان بين الحبر والحبر
يا يوم معركة « اللطرون » كم صور ... قد صور المجد للابطال . . كم صور ؟!
لو كنت ثم جوار الغر عن كثب ... لما التقوا بعدو الله ، والبشر
لكنت تشهد من جيش الحمى عجباً ... كأنها « بدرُ » . . . والكفار في الحفر

***

يا جيشنا العربي . . يا فخر امتنا ... فخر العروبة من بدو ، ومن حضر
اكليل غارك مجد ، صاغه قدر ... ففي جبينك نور الحق ، والقدر
لا زلت رمز الحمى لا زلت منتصراً ... لا زلت من ظفر تمشي الى ظفر
وليرعك الله في ظل الحسين فمن ... عزيمة الليث ، عزم الصا

الفهرس

صفحة

كلمة العدد . . . . . الزعيم الركن عمر المدني – المدير العام للتعبئة المعنوية والعلاقات العامة . ١
الثورة العربية الكبرى . . . . كلمة المديرية العامة للتعبئة المعنوية والعلاقات العامة . . . ٣
صدى الثورة . . . . . شعر محمد الشريقي ٦
المعاني الحقيقية لقيادة الحسين . . وصفي التل ٨
مواقف الحسين الخالدة . . . الشيخ عبد الله غوشه ١١
الحسين يدخل التاريخ . . . . عارف العارف ١٤
ذكريات وعبر . . . . . الدكتور ناصر الدين الاسد . . . ١٨
مولد الحسين . . . . . المشير حابس المجالي ٢١
ميلاد الحسين – قضية عربية كبرى – ورسالة انسانية عظيمة . . الزعيم الركن عمر المدني ٢٤
تحية شهر رمضان . . . . المديرية العامة للتعبئة المعنوية والعلاقات العامة ٢٩
محمد . . . . . شعر عمر ابي ريشة ٣٢
التشريع في الاسلام . . . . الشيخ عبد العزيز الخياط . . . ٣٧
من فقهاء الاسلام . . . . . العريف عبد الله سالم الرواشده . . ٤٩
مذكرات يتيم (قصة العدد) . . ابراهيم فيومي ٥٤
التحصينات العسكرية في العصور الحديدية في الاردن . . . رفيق وفا الدجاني ٦٠
نداء الواجب (قصة) . . . الرئيس عمر عيسى صواي . . . ٦٧
الحرب الشعبية . . . . . الرئيس فوزي الخطيب . . . ٧٠
من مدرسة الجندية . . . . الملازم علي عبده الزعبي . . . ٧٥
أذن الطيار والارتفاع . . . . الملازم الاول الطيار موفق بدر سلطي ٧٦
التعبئة المعنوية . . . . . الرئيس يعقوب الشوملي . . . ٨١
صور واحاسيس . (شعر) . الجندي المتقاعد حسني زيد الكيلاني . ٨٦
نفثات . . . (شعر) . راضي عبد الهادي ٨٨
ايها الجند . . (شعر) . وهيب رشيد البيطار . . . ٩٠
العلم والمجتمع . . . . . قدري طوقان ٩٣
الصفحة الاخيرة – معركة اللطرون – شعر محمود الافغاني . . . ١٠٠

الثورة العربية الكبرى

إن الثورة العربية، انتصار للإنسان العربي على نفسه، وانتصار له على كل خلاء في صفوف أمته، وتحرر للذات العربية، واكتمال في تلك النفس، للتقوى والإيمان بالله، وعودة — بأخذها إلى معدن الأصالة.

الثورة العربية، انتصار للتقدمية العربية على كل خلاء الغاصبين، وفتح في قلوب العرب، حتى تتم الوحدة الكبرى.

الثورة العربية قوة بلا طغيان، ومنقر بلا تجبر، وترفع بلا كبرياء، وخدمة بلا منة ودين بلا تعصب، وجهاد في سبيل الله، وصبر وتضحية وفداء.

الثورة العربية الكبرى، قاعدة للحرية، ومدرسة للديمقراطية، ترقى في أصولها إلى عهد الخلفاء الراشدين.

الثورة العربية الكبرى، سعي إلى وجه الحقيقة، وبلوغها في ميادين العلم والأدب والفكر، وعناق للحضارة الإنسانية، وانفتاح على الكمالي، وتفاعل خير كريم مع الأمم المتمدنة.

الثورة العربية الكبرى، انطلقت منذ خمسين عاماً، وما زالت مستمرة في سيرها الظفر، عبر كل إصلاح بناء، إنها الفضيلة في نفوس الأحرار، والرسالة في جوهر الحكم، وهي كتاب الحق، وخيط النور الذي يصل قلوب العرب بهذه الأرض، ويحث ركابهم إلى مراميها...